

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 105034653

رقم التسجيل: ط2: 1998462725

جامعة محمد بوضياف. المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

نزعة التصوف في ديوان الكتابة بالنار لـ عثمان لوصيف

من إعداد الطالبتان :

رغدي صباح

رقدي زوبيدة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

| الصفة | الجامعة | الرتبة | اسم ولقب الاستاذ |
|--------------|---------------------------|-----------------|--------------------|
| رئيسا | جامعة محمد بوضياف المسيلة | استاذ محاضر (ب) | - الطاهر لحواو |
| مشرفا ومقررا | جامعة محمد بوضياف المسيلة | استاذ محاضر (أ) | - سعدون محمد |
| مناقشا | جامعة محمد بوضياف المسيلة | استاذ محاضر (أ) | - بن قرين عبد الله |

السنة الجامعية : 1442/1441 هـ - 2020/2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ

الاهداء

- نهدى هذا العمل المتواضع إلى والدينا الكريمين أطال الله
في عمرهما وإلى كل أفراد العائلة: أشواق، عزيزة، موهوب

وزينات

وإلى كل الزملاء والأصدقاء خاصة:

جهاد وأمينة (G52)، حليلة، سارة (البار)، حبيبز عماد

وإلى كل من نحب، وإلى كل من ساعدنا في انجاز هذه

الدراسة وتلبية متطلباتها (الدكتور محمد سعدون، الدكتور

جياج، الدكتور لحو واطاهر)

نهدى إليهم جميعا هذا الجهد المتواضع رمز المحبة وعربون

وفاء وعنوان تقدير واحترام

شكر و عرفان

نتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور " محمد سعدون " الذي تشرفنا بالتعرف على عليه عن قرب والتواصل معه، حيث وافق مشكوراً بالإشراف على رسالتنا حين عرضنا عليه عنوان البحث فوافق دون تردد، حيث منحنا الحرية الكاملة في البحث والشكر موصول لكل من وقف إلى جانبنا في إنجاز هذا العمل.

دون أن ننسى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة محمد بوضياف مسيلة.
وذلك الدكتور: بن قرين عبد الله له الشكر والتقدير على تشجيعه ودعمه لنا.

مقدمة

يعتبر التصوف قطاعا رئيسيا ومهما من قطاعات الفكر العربي الإسلامي وهو يدخل في الشخصية الخاصة بهذا الفكر، فالحديث عن التجربة الشعرية الجزائرية الصوفية المعاصرة يجعلنا نشهد ثورة أدبية، ونقدم لمحة عنها من خلال هذا : نزعة التصوف في ديوان الكتابة بالنار" لعثمان لوصيف ولقد طرح هذا الموضوع من قبل الباحثين في مختلف الأقطار العربية ، وهو موضوع جدلي وعاطفي وايدولوجي واخلاقي وجمالي يحمل كل العلاقات الرابطة بين الخالق والمخلوق ولعل الشاعر الجزائري بثقافة جيله والعصور التي سبقته لدليل على إيمان الفنان بقوة وقدرة الله تعالى ، ثم علاقة الشاعر الفنان بمحيطه الإسلامي والتأمل في قضايا الكون والطبيعة والإنسان، وإن العلاقة بين الإنسان المؤمن المسلم وربه لهي علاقة توحد روحاني قوي، فيه الإيمان والطاعة والتعبد بما يشغل عقل أي فنان شاعر مثل شاعرنا المرحوم عثمان لوصيف وهذه اشكالية حقيقية من وجهة نظرنا كونه فنان وشاعر جزائري من جيل الثمانيات ومخضرم عاش سنوات الحرب التحريرية والاستقلال ، وربما هذا هو الدافع الذي دفعنا للبحث واختيار ديوان الكتابة بالنار كنموذج لدراستنا .

ومن خلال هذه المعطيات دفعنا الى التساؤل الآتي :

ماهي تجليات التصوف في ديوان الكتابة بالنار لعثمان لوصيف وهذه الإشكالية تدفعنا الى عدة تساؤلات منها :

مفهوم التصوف وخصائصه ومذاهبه .

ولقد اجتهدنا في الاجابة عن هذه التساؤلات ، واعتمدنا في ذلك على خطته مكونة من فصلين وخاتمة ، مفصلة على النحو الآتي :

الفصل الأول : وعنوانه ب " ماهية التصوف وأقسامه وخصائصه وأعلامه ومدارسه

أما الفصل الثاني : اتجهنا في البحث عن تجليات اللغة الصوفية في ديوان الكتابة

بالنار لعثمان لوصيف ودلالاتها النفسية والسلوكية والفكرية والجمالية والابداعية

ودراسة تطبيقية لبعض النماذج ، وينتهي البحث بخاتمة تكشف عن النتائج المتوصل إليها .

وقد استخدمنا في بحثنا هذا على المنهج الاجتماعي التحليلي لأنه يناسب طبيعة الموضوع وإبراز العلاقات التي تتحكم في بناء لغة الشعر الصوفي وخصائصه ودلالاته.

وقد استعنا في دراستنا بعدد هام من المصادر والمراجع من أبرزها - ديوان الكتابة بالنار لعثمان لوصيف .

وأما صعوبات البحث ، فكانت الجائحة العالمية والحضر الصحي الذي فصلنا عن محيط الجامعة والأستاذ المشرف وصعوبة تحليل الرموز الصوفية .

ونعتم فرصة تقديم هذا الجهد لأستاذنا الفاضل الدكتور محمد سعدون الذي تفصل بالاشراف على هذا العمل الأكاديمي كوحدة بحث ماستر تخصص أدب جزائري

2020-2019 م

واخيرا نقدم بالشكر الى من ساهم في انجاز هذا البحث ولا يفوتنا في الأخير أن اتوجه بالشكر الي لجنة المناقشة على تفضلها بقراءة هذا العمل ومناقشته بغية توجيهه وتسديده.

الفصل الأول

المبحث الأول : مصطلح التصوف

التصوف:

المطلب الأول: أصل الكلمة:

التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من "صوف" للدلالة على لبس الصوف ومن ثم كان المتجرد الحياة الصوفية يسمى في الاسلام صوفيا، وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة، كقولهم أن الصوفية نسبة إلى "أهل الصفة" فرق من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة لعهد النبي، أو أنهم من الصف الأول من صفوف المسلمين في الصلاة، أو من بني صوفة هي قبيلة بدوية، أو أنهم نسبوا إلى "الصوفانة"، أو إلى "صوفة القفا" وهي الشعرات النابتة عليه، أو أن اللفظ مشتق من "صوفي" مطاوع صافي والأصل صفاء، وقد استعمل هذا اللفظ المطاوع بمعنى المتسك لابس الصوف، ومع الكلمة اليونانية "سوفوس" التي حاولوا فيها محال بالمعادلة بين "ثيوسوفيا" theosophie و "تصوف" وقد رد نولدكه Noeldeke هذا المذهب الأخير في أصل كلمة "صوفي"، مبينا أن السين اليونانية تكتب باطراد في العربية سينا لا صاداء، وأن ليس في اللغة الآرامية كلمة متوسطة للانتقال من "سوفوس" اليونانية إلى "صوفي" العربية.

وورد لفظ "الصوفي" لقبا مفردا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ نعت به جابر بن حيان وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم المتصوف المشهور أما صيغة الجمع "الصوفية" التي فيما يراه المحاسبي والجاحظ على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة وكان عبدك الصوفي آخر أئمتة، وهو من

القائلين بأن الإمامة بالتعيين، وكان لا يأكل اللحم، وتوفي ببغداد حوالي عام 210هـ-825 م وإن فكلمة "صوفي" كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة. وقد ر لهذا الاسم أن يكون له شأن خطير فيما بعد، فما انقضى خمسون عاما حتى يطلق على جميع الصوفية بالعراق في مقابل "المرامتية" وهم الصوفية بخراسان، ثم أخذ هذا الاسم يطلق بعد ذلك بقرنين على جميع أهل الباطن من المسلمين كما هو حالنا اليوم في إطلاق كلمة "صوفي" و"صوفية" وفي غضون ذلك أصبحت لبسة الصوف، أي عباءة من الصوف، وما برحت من أخص أزياء المسلمين من أهل السنة، واستفتح هذا الزي حوالي عام 100هـ719م فقل إنه نصراني دخيل في الإسلام، وقد عابوا على فرقد السخي تلميذ الحسن البصري هذه اللبسة، وروى الجوباري عن النبي أحاديث لعلها من وضعه، يستحب فيها لبس الصوف لرجال الدين.

المطلب الثاني: مفهوم التصوف لغة

1- التصوف لغة:

كثرت الأفعال في اشتقاق التصوف، فمنهم من قال: من الصوفة، لأن الصوفي مع الله تعال كالصوفة المطروحة، لاستسلامهم الله تعالى. ومنهم من قال: أنه من الصفة، إذ جملة إنصاف بالمحاسن، وترك الأوصاف المذمومة.

ومنهم من قال: من الصفاء، حتى أبو الفتح البستي رحمه الله تعالى:

تنازع الناس في الشوف واختلفوا وظنه البعض مشتقا منم الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي

ومنهم من قال: من الصفة، لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى: «وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» [سورة الكهف، الآية 28]

وأهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة.

و قيل: من الصفوة، كما قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى، وقيل: من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى وتسابقهم في سائر الطاعات.¹

ومنهم من قال: إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف والإخشيان.

ومهما يكن من أمر فإن التصوف أشهر من أن يحتاج في تعريفه إلى قياس لفظ واحتياج اشتقاق، وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود، إذ كثير من الإصلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقهاء والمنطق.

وعلى كل فإننا لا نهتم بالتعابير والألفاظ، بقدر اهتمامنا بالحقائق والأسس ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما يقصد به تركية النفوس وشفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان، نحن نسمي ذلك تصوفاً، وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي، أو سمّه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره، إلا أن علماء الأمة قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عرفاً فيهم²، أما في موضع آخر فيذهب الكثير من المستشرقين إلى أن الكلمة "صوفيا" مأخوذة من "سوفيا" بمعنى أن كلمة "سوفيا" اليونانية تعني "الحكمة"، وعندنا فلسفت

¹ - عيسى عبد القادر، حقائق عن التصوف، دار القاهرة، مصر، ط1، 1961، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 24.

العرب عبادتهم حرفوا تلك الكلمة، وأطلقوا على رجل التعبد والفلسفة الروحية، ومما ذهب إلى ذلك المستشرقين "ماركس"³.

2- تعريف التصوف اصطلاحاً:

قال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى: «التصوف: علم تعرف به أحوال تركية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية».

ويقول الشيخ أحمد رزوق رحمه الله تعالى: «التصوف: علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه»، والفقهاء لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول: "علم التوحيد" لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطب لحفظ الأبدان، وكانحو الإصلاح اللسان، وإلى غير ذلك. قال سيد الطائفين الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: (التصوف: استعمال كل خلق سني وترك كل خلق ديني).

وقال بعضهم: (التصوف: كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف).

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (التصوف: تدريب النفس على العبودية وردّها لأحكام الربوبية).

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (التصوف: هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليلتها بأنواع الفضائل، وأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة)⁴، وقال زكريا الأنصاري: التصوف علم تعرف به

³ - أحمد شمس الدين، التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذي، (تع)، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت،

1993، ص 25

⁴ - مرجع سابق، حقائق عن التصوف، ص 21.

أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية.

وقال صاحب كشف الظنون: التصوف هو علم به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم.... إلى أن قال:

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخوفطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف.

وقال الشيخ رزوق في قواعد التصوف: (وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوده تبلغ نحو الألفي مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه).

فعماد التصوف تصفية القلوب من أوضاع المادة، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم فالصوفي من صفا قلبه لله، وصفت الله معاملته، فصفت له من الله تعالى كرامته⁵ والتصوف معرفة ذوقية قوامها الذوق والحدس، فقد جاء أحد تلاميذ ابن عربي يسأله في إنكار الناس لعلومهم، فرد عليه ابن عربي أنه: "إذا طالبه أحد بالدليل والبرهان على علوم الأسرار الإلهية فقل له ما الدليل على حلاوة العسل؟

فلا بد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق! فقل له هذا مثل ذلك،⁶ وبالتالي فإن

التصوف ركيزته الوحيدة هي الذوق والحدس.

المطلب الثالث: نشأة التصوف

لم يكن التصوف معروفًا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة الكرام والتابعين، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في لفظ

⁵ - أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 22.

⁶ - هدى فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي محي الدين بن عربي أنموذجًا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، محمد مرتاض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص 22.

الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما أشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل به عن غير واحد من الأئمة والشيخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهم، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري كما ذكر الشهروردي أن هذا الاسم لم يكن معروفا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين.⁷

ولقد جاء في كتاب التصوف منشؤه ومصطلحاته بأن الباحثون لا يختلفون على أن التصوف نشأ أساسا عن ذلك الزهد الذي اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم والعدد الأكبر من الصحابة والتابعين، وكانت حالة الزهد هذه أمرا طبيعيا الحدود بفعل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحمل معاني التشجيع للمؤمن على العمل من أجل الآخرة، ومحاولة الإقلاع عن الانغماس في عرض الدنيا الزائل مع المطالبة بتزكية النفس والتوكل على الله والخوف منه تعالى والرجاء الدائم برحمة الله وغفرانه.

وإذا كانت قد اختلفت الآراء وتعددت حول الاشتقاق لكلمة (صوفي) كما سبق إلا أن معالم الطريق الصوفي في أصلها ناشئة من الإسلام وتعاليمه فمن دوافع الزهد والتوجه يحل الجهد من أجل الفوز بالآخرة، قال تعالى: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» [سورة الشورى، الآية 20].

ومن الآيات القرآنية التي تدعو المؤمن إلى التزود للآخرة من الدنيا لأنها دار فناء، لقوله تعالى: «أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيجفتراهم صرفا.

⁷ - بولعشار مرسل، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة ابن فارض أنموذجا، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، 1435هـ - 2014-2015م، ص، ص 35،36 .

ثم يكون حطما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من

الله ورضوانوما الحياة الدنيا إمتاع الغرور» [سورة الحديد، الآية 20]، وفي هذا الآية الكريمة أن بعض الناس ينساقون إلى أفعال يدعو إليها الجهل بالنافع من الأعمال، فتراهم يحاولون صرف الهم عن أنفسهم باللهو بالملابس والمنازل وما تشتت به الأنفس، وبالتفاخر بالأنساب، والمباهاة بالتكاثر العددي، ولكن كل هذا عرض جاهز للزوال كنبات يسر أصحابه وناظره ما يلبث أن يصفر ويتحول هباءا منثورا ويكون بسبب ذلك عذاب شديد في الآخرة لمن انهمك في الدنيا بهذه الأعراض فهي متاع الغرور، ويكون الرضوان والرحمة من الله لمن أعرض عن هذا السلوك، ومن الآيات المؤثرة في نشأة الزهد والمتخذة شاهدا للسلوك الصوفي تلك التي تتحدث عن الخوف والرجاء ومنها قوله تعالى: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقنهم ينفقون» (سورة السجدة، الآية 16)، وأيضا قوله: «ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا» [سورة الأعراف، الآية 56]، وكذلك يوجد آيات عن العبادة في الليل والتسبيح كقوله تعالى: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» (سورة الإسراء، الآية 79)، وكذلك قوله تعالى: «واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا 25 ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا (سورة الإنسان، الآية 25-26)، ففي هذه الآيات دلالة على أمر الله عز وجل عباده بالزهد والتصوف المتمثل في عبادته والتخلي عن لهو الدنيا، فأمرنا بذلك حتى ليلا نبيت ساجدين وذلك رغبة ورهبة منه عز وجل.

ونجد أيضا في كتاب حقائق التصوف بأن لفظة التصوف لم تنشأ في عهد الرسول الكريم وأتباعه لأنهم كانوا صوفيين فعلا وإن لم يسموا بذلك على عكس العصور الأخرى التي كثر فيها الفساد والحرام، وعلى ذلك يقول الدكتور أحمد علوش: «قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في

صدر الإسلام، وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين»، ثم ذكر السبب بأن العصر الأول كان أهله تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم اتصالهم بالرسول الكريم لأنهم كانوا يتسابقون في الاقتداء به، وكذلك يذكر الدكتور أحمد علوش لأنهم كانوا سليقيون بالفطرة دون تعلم قواعد اللغة العربية ولا الإعراب ولا النظم، فلقد كانوا زاهدين ملازمين للعبودية والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات⁸، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « خير القرون قرني هذا فالذي يليه والذي يليه».

ولما دخل أجناس عديدة في حظيرة الإسلام بدأ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً مما دعا أرباب الرياضة والزهد أن يعملوا على تدوين التصوف وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم التي تم التدوين فيها كالنحو والتفسير والمنطق والحديث.

المبحث الثاني: ظهور وتطور التصوف

المطلب الأول: مراحل تطور الصوفي

قسم علماء التصوف والباحثين مراحل التصوف إلى مراحل ثلاث هي:

1- المرحلة الأولى: ظهر التصوف في هذه المرحلة على أنه زهداً في الحياة الدنيا والبعد عن متعتها واختيار الحياة الأخرى، وما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين، ويقوم المسلم على مجاهدة نفسه على الاستقامة والطاعة لله عز وجل واتباع ما جاء في الكتاب والسنة وقد ظهرت هذه المرحلة في الصدر الأول - القرن الأول والثاني الهجري.

2- المرحلة الثانية: دخلت بعض الأمم الإسلامية نتيجة الفتح الإسلامي لها وأقبل الناس على الحياة من متع وملذات، وتكالب الخلفاء على الحكم، وانقسم المسلمون

⁸- حقائق عن التصوف، مرجع سابق، ص 25.

بين معارضين ومؤيدين للحكام فكان لابد أن يواجه علماء التصوف هذه الظواهر التي جرت على المجتمع الإسلامي فأضافوا إلى التصوف تعبيرات جديدة، هذه التعبيرات مستمدة أيضا من الكتاب والسنة، مثل (الفقر)، ثم أرادوا أن يميزوا بينهم وبين بقية المسلمين فاختاروا الملابس الصوفية التي عرفوا بها على مر العصور المختلفة.

3- المرحلة الثالثة: امتزجت الثقافات الوافدة إلى المسلمين من الدول التي دخلت الإسلام مع الثقافة العربية، وأعلنت عن مولد ثقافة جديدة هي: الشفاهة الإسلامية، فكان لابد أنواجه علماء تصوف هذه الظواهر بإدخال بعض التغييرات وبعض الظواهر من حيث ترتيب المقامات والأحوال والنظام السلوك والآداب التي في الكتاب والسنة وتوافق الشرع وتؤكد السير عليه.

وبالتالي فإن نشأة التصوف كانت بالإسكندرية وهي طائفة يسمون بالصوفية يأمرن بالمعروف، وأين أول من سمي بالصوفي هو أبو هشام الصوفي المتوفي سنة خمسين ومئة، أما النصوص القرآنية فلقد أوضحت لنا بأن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ولكنه مأخوذ من سيرة النبي صل الله عليه وسلم وحياته وأصحابه الكرام كما أنه ليس مأخوذ من علوم أخرى، بل أطلق على شدة التعلق بالله والتخلي عن الدنيا وملذاتها، فما ظن بذلك فإنه أراد بذلك تشويه اسم التصوف واتهامه بأنه يرجع في نشأته إلى أصول قديمة وفلسفات ضالة، لكن الإنسان الباحث عن الحقيقة يكتشف بأنه تطبيق عملي إسلامي وليس هناك إلا التصوف الإسلامي فقط.

المطلب الثاني: أقسام التصوف:

من الواضح أن التصوف في المغرب شأنه شأن التصوف في المشرق العربي قد اشتهر من أنواعه اثنان رئيسيان أحدهما تصوف سني والآخر تصوف فلسفي.

أولاً- التصوف السني: هو الذي تقيد بالقرآن الكريم والسنة النبوية والعناية بالتعبد والزهد وهو يعمل على الملائمة بين الحقيقة والشريعة، ويعتمد في ذلك آراء مشاهير العلماء الصوفية وأقوالهم.

والملاحظة أن تصوف المغرب العربي في القرون الأولى كان في معظمه سنياً، وهو ما يفسر التعايش السليم الذي كان بينه وبين الفقه، ولم يلق معارضة أو محاربة إلا من عدد قليل من الفقهاء في هذه الديار، وهذا ما تؤيده كثرة أسماء الصوفية الذين حفلت بهم كتب الفكر والأدب والشعر.⁹

ثانياً- التصوف الفلسفي:

فهو الذي ولج بقوة إلى عالم الغيبيات، ولم يرعو عن أن يثير بعض الحالات التي قد لا يوافق عليها العقل وتتناقض تماماً مع الشريعة أو المنطق، ويرى الغبريني أن التصوف السلفي كان يترع بأهله إلى غاية عملية هي: "النجاة بالنفس من عذاب الآخرة"، ولكنه بداية من القرن الثالث أصبح وسيلة لالتماس المعرفة.

ويعد التصوف السلفي الذي حدد هدفه في فهم الشريعة أكثر والتضحية بكل نفس المنافس في سبيل الراحة الأبدية في العالم الآخر، والتسامي عن القشور الزائلة التي تتمثل في بهرجة هذه الدنيا التي ماهي في نهاية المطاف إلا لهو ولعب.

بعد هذا التصوف، حدث في الفكر وتشعب في الأهداف إلى درجة التطاول على بعض المقدسات مثلما اشتهر قوم بنظرية الاتحاد بالله عن طريق الفناء (فناء النفس بأثارها وصفاتها)، وحاول الله في مخلوقاته (الحلاج المتوفى سنة 309هـ)، أو ثبات وحدة الوجود ابن عربي المتوفى سنة 638هـ).

ومما يتميز به الأدب الصوفي الفلسفي كثرة الرموز وتنوعها، وهذه السمة هي التي تجعل منه أدبا عسير الإدراك، مستعصي الفهم، وذلك لأنه يرمز إلى الحقيقة

⁹ - التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي، مرجع سابق، ص 288

الإلهية والمقامات المختلفة في الرياضة الروحية بأسماء مادية بشرية كليا وغيرها، وهو لا يعتد بالعقل اعتداد الفلاسفة به، بل يعتبه حائلا دون إدراك الحقائق الإلهية التي يتصل إليها الحدس الباطني في غيبوبته من عالم الحس والشهود.

وهذا وقد بدا لنا من خلال قيامنا بجرد تاريخي في حدود استطاعتنا- لأسماء الصوفية، أن هذا التصوف قد انتشر في المغرب أكثر من الأقطار المغاربية الأخرى فقد اتضح أن الخميسة المجرية الأولى كانت مزدهرة بهذا الفن في فاس ومراكش بخاصة، ومع ذلك لم تجد المظان على المتلقي بالكشف عن الأسماء العديدة في تنشيط هذه الحركة.¹⁰

وقد يكون كثيرا منها ما يبرح حبيس المخطوطات والقراطيس، على حين أن القرن السادس الهجري كان أكثر وضوحا حيث أفلت عشرون علما صوفيا على الأقل من آفة النسيان وهم في معظمهم ينتمون إلى البيئة الفاسية، والبيئة المراكشية، وظهر غداة هذا القرن أحد الصوفية والذي يعود انتماؤه الأصلي إلى تلمسان، وهو سليمان بن عبد الرحمن التلمساني المتوفى سنة 579هـ.

أما القرن السابع فقد عج بأسماء جزائرية تعود أصلا إلى بيئات ثقافية إبان هذه الفطرة في كل من مليانة وبجاية والزواوة وتلمسان، وهؤلاء صاغوا مع زملائهم من فاس ومراكش قلادة مضيئة في جيد تصوف القرن المذكور والقرون التالية له. وكلما كانت أوراق الأشجار في طريق القرون تتطاير، كلما كانت السماء تعز وذلكم ما يعود إلى المصاعب التي عانى منها الأدب والفكر في أعقاب القرن 10هـ حيث هاجرا الأديباء والمفكرين وكفت السنة الشعراء عن التغريد.

المطلب الثالث: خصائص التصوف

¹⁰- المرجع السابق، التجربة الصوفية، ص ص 14-15.

التصوف الحقيقي لا بدع فيه، وقد يعتبر بعضهم أن البدع في الطرق الصوفية الضالة هي خصائص التصوف المنحرف وهي تتمثل في: سماع أناشيد وأبيات غزلية فيها ذكر الهجر والوصل والقرب والبعد والعذاب والملامة والعذل واللوم والقطيعة والشوق والحب والعشق والحبيب والمعشوق والقُدود والخدود والحسن والجمالوالغنج والدلال والخمر والكؤوس والساقى والسقيان، مع الآلات وبدونها مكاء وتصديه دون سماع القرآن، وأحاديث سيد الأنام كما يقول ابن عجيبة الحسنى: «السماع هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى» وجعلوا هذا السماع من لوازم التصوف حيث نقلوا عن علم من الأعلام المتصوفة الحسين النورى، أنه سؤال صوفي عن الصوفي فقال: «السماع هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى».¹¹ وقال ابن البنا السرقسطي

وللأنام في الشماع خوض لكن لهذا الحزب فيه روض

وإن للشيوخ فناذ جعلوه للطريق تركنا¹²

ونقل الشعراني عن الحارث المحاسبي أنه كان يقول: «مما كان يتمتع به الفقهاء سماع صوت الحسن»، و«أنه من أسرار الله تعالى في الوجود» وهنا بدعة تتمثل في أن كل صوت حسن هو متعة لأن فيه سر من أسرار الله فماذا لو كان هذا الصوت الحسن يحمل معاني أو ألفاظ تضر بالدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، أما تطرقهم ومخالفتهم للشريعة فيتمثل في أن لهم نظاما خاصا ومميزا عن نظام الإسلام وآدابها ومناهج لم يرد ذكرها في كتاب الله ولا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تعرف في القرون الأولى المشهود لها بالخير، بل أخذوها من غير المسلمين والبعيدين على الإسلام، وعقائده وأفكاره ومعتقداته، بل هي تخالف في

¹¹ - احسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الامام المجدد، طبعة شرعية، 1360م - 1407هـ، 1941م - 1987م، ص 159.

¹² - ابن عجيبة، المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي ضمن الفتوحات الإلهية، ص 18.

شكلها وصورتها وحروفها وألفاظها وكلماتها ومنطوقها ومعانيها ومدلولاتها واسمها ورسمها وسيرتها وتشكيلها وأدائها وأسلوبها من الإسلام الساذج غير المتكلف والمصطنع، دين الفطرة ودين البساطة، فأين هو وتعاليمه من الرقص والتمايل وجدا وطربا، والذكر وحلقاته¹³ والحركات على التصفيق والبكاء والتصدية وضربات الذكر وتحرك الراس والجسم آليا وبهلوانيا، والجلوس بين يدي الشيخ كالجلسة بين يدي الرب الخشوع والخضوع وعدم التنفس أمامه والسؤال منه والاعتراض عليه وعلى كل ما يفعله ويأمر به، والمكوث في سراديب الأرض واللبث في كهوف الجبال وغيرها. لكن الإسلام دين يشمل الدنيا والآخرة ويعامل الإنسان كما خلق في أحسن تقويم مكرم ومعظم وله حقوق وعليه فرائض، وله إخوان وخلان، وأهل وعيال ووالد وولد وأقارب وجيران وأسرة وبيئة ومجتمع فلا يستغني عنهم.

كما أنهم جعلوا السماع من موجبات الرأفة ومذهبات الكلفة ويؤدي رسائل الغيب، ودليل ينفي عنكم دواعي الريب، وكذلك يبرز كل وجد كامن، ويزعج كل قلب ساكن، السماع مبهج لقوم مزعج لقوم لأنه يفيد قوما، ويبيد قوما، من أفاده أبهجه وأصحاه ومن أباده أزعجه، وأيضا السماع غريم لا يرضي من الفقير إلا ببذل الروح لكنه يغنيه عن نيل كل ممنوع.

السماع يقضي ويقنضي، يقضي حقه، ويقنضي حقه، فحقه منك التلف، وحقك أن يكون منك الخلق السماع يهنك شر كل كاتم، ويملك السمع حتى لا يدخله لوم لائم كما أن السماع تذكير ما سلف لك يوم الميثاق فيثير منك كوامن الاشتياق فهو معني يصادفك بغتة ثم يفارقك فلتة، فلا لوروده سبب ولزواله موجب يحتسب السماع غيور لا يرضي بدون قتلك لكنه في قصائد يختلك.

13- احسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ص 158.

فهذا هو السماع عند القوم، وذكر السلمي واحدا من أصحاب الجنيدى وأحد مشايخ العراق وأئمتهم أبا محمد المرتعش النيسابوري والذي قال فيه أبو عبد الله الرازي: «كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاث، إشارات الشبلي ونكت المرتعش، وحكاياتجعفر الخالدي»، يذكر عنه برواية أحمد ابن علي أن المرتعش¹⁴ سمعت بعض القوالين في بعض الليالي يغني يقول:

لست أدري أطل ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يقتلني
لو تفرغ لاستطالة ليلي وليرعي النجوم كنت محلب

إن للعاشقين عن قصر الليلوعن طوله من الوجد شغلا.¹⁵

فهذا الشعر أبكاه، بمعنى أن السمع يؤثر على النفس.

وعلى ذلك يقال الإنسان مدني الطبع، ولذلك بعث الله النبيين وأرسل الرسل ليهدوه ويسلكوا به سبيل المؤمنين المتقين والمعتدلين يراعون الذم ويصلون الرحم ويوفون بالعهود ويرحمون الصغير ويوقرون الكبير، لكن التصوف انزواء وحشية وتنافر من الناس وانعزال عنهم، ثم رقص وسماع، وأكل وشرب على الاستجداء، ونوم في الروابط، لا الكسب ولا الطلب ولا الزواج ولا المعاشرة ومخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها، والاعتماد على السماع.

فالسماع الحقيقي هو كما قال أبي علي الروذ باري: «السماع هو المنطق الذي ظهر الحق به ونطق به في الأزل» والقشيري قال: «مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب»، وذي النون قال: «السماع وارد عن حق يزعج القلوب إلى الله، أما الصوت الحسن فقد قال القشيري: «مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وكل طيبة».

¹⁴- احسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ص 163.

¹⁵- ابي الرحمان السلمي، طبقات الصوفية، مطابع الشعب، القاهرة، 1380هـ، ص 36.

ولقد سئل بعض المتصوفة عن السماع فقال: «بروق تلمع ثم تغمده، وأنوار تبدوا ثم تخفى، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين، ثم أنشا يقول:

خطرة في السر منه خطرت خطرة البرق ابدي ثم اضمحل

أي زور لك لو قصدا سري ومسلم بك لو حقا فعل

فهناك سماع يطرق قلوب التائبين والمشتاقين، والسماع في التصوف الحقيقي آداب ونجدها عند روزبهان بقلي في كتابه "الأنوار في كشف الأسرار" حيث يقول من آداب الصوفية في السماع أن يصل قبل الحضور في مجلس السماع، ويسأل البركة من الرب عز وجل، وأن يقعدوا فيه بالهيبة والوقار، ويلازموا السكينة والإخلاص، ومن آدابه أيضا عدم التكلم أثناء السماع، والسماع عند التصوف الحقيقي هو سماع القرآن لا الغناء، وقد صرح الغزالي ذلك بكل وضوح وجلاء وبكل جرأة وبسالة بقوله: «فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوانين دون القارئ؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنيين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال؟ فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء، لا محالة فاعلم أن الغناء أشد تهيجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: جميع آيات القرآن لا تناسب حال السامع.

الوجه الثاني: القرآن كلما شمع عظم أثره.

الوجه الثالث: لا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما نزل.

الوجه الرابع: الوزن في الشعر دون الآيات.

الوجه الخامس: الوجد ضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي.

الوجه السادس: القرآن يوافق حال السامع عكس الشعر قد لا يوافق.

الوجه السابع: القرآن كلام الله وكلامه صفته وهو حق.

فمن الرازي يقول: «فاذن القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن»¹⁶

ومنه فالقرآن له وقع على القلب وأنسب لحال السامع من الغناء.

وبالتالي فخصائص التصوف الإيجابية تتمثل في التقوى والتجرد بذكر الله والانقطاع إليه كلية وترق الدنيا والذكر والمحاسبة والتوكل التام على الله والسياسة والرياضة والتواجد عند ذكر الله، أما السماع الإيجابي فلقد ربطوه بسماع أناشيد يتلونها وكلها بذكر في مدح الله والرسول صلى الله عليه وسلم، أما خصائصه السلبية فتتمثل في الرقص والغناء وضرب الدفوف والمزامير وما شابه ذلك.

المطلب الرابع: أعلام التصوف:

سيدي أحمد الرفاعي:

هو أبو العباس أحمد ابن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بأحمد الرفاعي، وهو علوي النسب رضي الله عنه، فأبوه حسيني ينتمي نسبه إلى سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه حسنة ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم ولذلك كني سيدي أحمد الرفاعي بـ "أبي العلمين" ينتسب إلى جده السابع "رفاعة" الذي هاجر إلى المغرب هرباً من اضطهاد العباسيين للعلويين في المشرق وقد استقر "رفاعة" بأشبيلية،¹⁷ حيث تزوج وأنجب عدداً كبيراً من الأبناء، ولد في "أم عبدة" وهي جزيرة قرب واصل من محافظة البصرة بالعراق سنة 512 هـ في العصر العباسي الثاني، أفيعهد الخليفة "المستظهر بالله"

¹⁶ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، أحياء علوم الدين، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د/ط، د/ت، ج2، ص ص 273، 276.

¹⁷ - أحمد أبو كف، أعلام التصوف الإسلامي، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، ط2، القاهرة، 2002، ص 19.

وكانت ولادته بعد وفاة أبيه كفالها خاله، ولقد عاش ستين عاماً حافلة، حفظ القرآن وهو عمره سبع سنوات، ثم تلقى علوم العربية من خلال التردد على حلقات العلم المزدهر في بلاده، ويقول إنه اتخذ شيخين تتلمذ عليهما وهما: خاله "منصور البطائحي" و"علي القاري الواسطي" هذا فضلاً عن الإمام "الخرنوجي" والأخير كان يقيم عنده كل عام فترة من الزمن يتعلم منه ويستمتع إلى وصاياهم وتوجيهاتهم حتى تفقه واتسعت دائرة معارفه وأتم الدراسة، ولقد حفظ لنا التاريخ عن فكره وعلومه وآدابه ونصائحه وأشعاره وأذكاره وأوراده وكلماته، فلقد كان أحد أقطاب التصوف الإسلامي وما تميز به هذا العلم لم يحظ به الكثيرون من أئمة التصوف وأقطابه، أما مؤلفاته فلقد كانت جمة في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث وفي التصوف وهذه المؤلفات فاقت خمسة وثلاثين مؤلفاً.

إن سيدي "أحمد الرفاعي" لم يكن يخلو إلى نفسه إلا قليلاً، كان يلقي الدروس على مريديه و يؤمهم في الصلاة و يتدارس معهم مشاكلهم ويعمل على حلها، يقول الإمام الشعрани في طبقاته: «إليه انتهت الرئاسة في علم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلهم، وتتلمذ له خلائق لا يحصون، وهو أحد من قهر أحواله، ومملك أسراره»، ولقد عاش دائماً يردد وصية أستاذه "الواسطي" والتي هي "من لم يعرف من نفسه نقصاناً فكل وقته نقصان".

توفي سنة 578هـ بعد مرض لم يمهله طويلاً ودفن حيث ولد في قرية "أمعبيدة" وحيث هي قراره.

نموذج من شعره :

الله قوم مصطفون لنفسه اختارهم من سالف الأزمان

اختارهم من قبل فطرة خلقهم فيهم ودائع حكمة وبيان

وهذان البيتان قالهما في أحد جلساته لتلاميذه، ومعناه أن الله اختار عبادا لمعرفة
وخصصهم بمحبته وصحبته واجتباهم لمؤانسته وقربهم لمناجاته، وحرصهم على ذكره
وأنطقهم من كأس محبته وفضلهم على جميع خلقه ويقول أيضا: ¹⁸

بين المحبين سر ليس يفشيه خطر ولا قلم عنه فيحكيه

نار تقابله إنس يمازحه نور يخبره عن بعض ما فيه

شوقي إليه ولا أبغي له بدلا هذي سرائر كتمان تناجيه

2- عبد القادر الجيلاني:

عاش تسعون سنة، وانتقل إلى جوار ربه ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة
إحدى وستين وخمس مائة (561هـ) الموافق 1166
م، وفرغ من تجهيزه ليلًا ولد عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه وتلامذته،
ثم دفن برواق مدرسته ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وأهرع الناس للصلاة
على قبره وزيارته وكان يوما مشهودا.

واسمه عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن
محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، ولد بمدينة "راشت" بإقليم
جيلان في الشمال الغربي من إيران سنة 470هـ، 1077م تعلم القرآن الكريم في
بلدته التي ولد بها، انتقل وهو في ريعان شبابه عام 488 هجري إلى بغداد العاصمة
العباسية لطلب العلم والاستزادة منه، بعد أن استأذن أمه التي أخذت منه عهدا بأن
يلتزم الطريق القويم، ولقد عرف بصدقه، وسلك طريقه كثير من الرجال المتمسكون
به، يقال عنه هو شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ، صاحب المقامات

18- أعلام التصوف الإسلامي، ص 29.

والكرامات، وقد قيل أنه ظل يطلب العلم اثنين وثلاثين سنة، درس فيها مختلف علوم الشريعة، ثم جلس للتعليم والوعظ سنة 520 هـ.¹⁹

ولقد كان مذهبه الاعتدال ولا إسراف فيقول: «لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها أو تتحل أعضائك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة» وأيضا بذل جهدا كبيرا من أجل الوصول إلى مرتبة التقرب إلى الله لم ينالها في بدء حياته السائرة إلى الله، ومن مؤلفاته التي اعتمدها في مساره العلمي نجد:

1- كتاب المواقف والمخاطبات للنفري.

2- قوه القلوب لابن المكي.

3- كتاب الاحياء للغزالي.

4- كتاب الشفاء للقاضي عياض.²⁰

ولقد أضاف الأدباء والمؤرخون والكتاب في علمه فيقول عنه الإمام البويصري: «قطب الزمان وغوثه وإمامه، عين الوجود لسان سر الموجد». وبالتالي فأبو الحسن جاء بالصحيح وغير المفاهيم الخاطئة عن الصوفية والطريق، لأن الصوفية تدريب النفس على العبودية، وليست خوفا من الموت ولا انعزالا، ولا كسلا وتواكلا كما يزعم أعداء الإسلام وعلاوة على ذلك فإن لهذا العلم أحزاب وأدعية وأذكار فكان يمزج الذكر بالدعاء ، وذلك مثل ما نجده في سورة غافر مثلا: «و قابل التوب» (سورة غافر، الآية 03)، فهنا عندما نمزج الذكر بالدعاء نقول يا قابل التوب

¹⁹ - عبد الله رزوقي، الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي، الطرق أطروحة لنيل الدكتوراه، تخصص أدب عربي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2017م، ص 66.

²⁰ - أعلام التصوف الإسلامي، ص 52.

أقبل توبتي، ونجده أيضا يقول: إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة اشياء هي:"

- 1- الامتثال للأمر، 2- الاجتناب للنهي، 3- تطهير السر، 4- جمع الهمة، 5-
- الاضطرار، ومن أحزابه، الحزب الكبير، ومن أدعيته «اللهم نسألك إيماننا دائما وقلبا خاشعا»²¹

فهكذا أبو الحسن الشاذلي كان تصوفه والتقرب إلى الله.

سيدي أبو العباس المرسي:

ولد في المرسية ونشأ بها حيث كان والده يعمل في التجارة ولقد كانت حالة والده باليسير فمكنته من إرسال ابنه إلى مؤدب لتعلم القرآن الكريم والتفقه في أمور الدين. ولقد نشأ على الصلاح والتقوى في هذه السن المبكرة، أو بعبارة أخرى أنه صقل فطرته الصافية وثبتها على الصلاح والتقوى، واسمه "أبو العباس المرسي" أو "المرسي أبو العباس" ولقد بانته في خصال الذكاء غير العادي والمهارة والفهم منذ سنواته الأولى حتى لقد كان ما فيه لا يوجد في أطفال المكاتب، كما أن كل من شاهده صغيرا كان يتوسم فيه الاتجاه إلى الصلاح والتقوى منذ هذه السن المبكرة.

إن المعلومات قليلة عن أبي العباس، فقبل عام 640هـ حزم والده أمره ورتب أموره على أن يقوم بالحج إلى بيت الله الحرام وأخذ الأسرة معه، وركب البحر وكان عمر أبو العباس 23 سنة، لكن شاءت الأقدار أن تهب عاصفة فاستشهد أبوه ووالدته غرقا في البحر، ونجى هو وأخوه محمد، ثم بعد ذلك اتجه أخوه محمد نحو التجارة فخلف مكان والده، أما هو فلم يكن حنينه إلى التجارة وإنما كان حنينه إلى مهنة المؤدب الذي كان من أولياء الله، وكان هواه هو تعليم القرآن الكريم والاعتراب من أنوار القرآن، فاتخذ من زاوية الفقيه "محرز بن خلف" مكانا يعلم فيه القراءة

²¹- أعلام التصوف الإسلامي، ص 61.

والكتابة ومبادئ الدين والقرآن الكريم، ولقد جاء إلى تونس وهو متسلح بالعلم وبما تعلمه من تجارة الأخذ والعطاء مع أبيه، حيث اطلع عمليا على فنون المعاملات ووسائل التفاهم مع خلق الله مما أطلعه على معرفة الاتجاهات الإنسانية ووقفه على كوامن النفس البشرية.²²

وفي تونس التقى مع أبي الحسن الشاذلي الذي أصبح شيخه حيث قال له: «يا أبي ابن العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت»، ولقد قال بعض الصوفية إن أبي العباس امتداد للشاذلي، لأنه كان يسير في ضوء تربيته وينهج طريقه لا يحد عنه قيادة شعرة، و قبل موته أوصاه بأشياء واختصه بما اختصه الله به من البركات، فأصبح معنى العلم عند أبي العباس هو البحث عن الحقيقة، وعلاوة على ذلك فإنه اعتمد على مجموعة كتب وعلوم وكانت له مؤلفات مثل كتاب المصابيح، كتاب التهذيب والرسالة وكتاب المحرر الوجيز لابن عطية.

أما في التصوف فنجد الرسالة القشيرية وكتاب قوة القلوب، كذلك كان شاعرا فيقول:
إذا كنت سائلنا عن خالص المنوع تعلق ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالحفظ منذ ألفت أدرانها فقدت تشكو من العطب²³

وهنا تعبير عن النفس وتعلقها بالبدن وتقيدها بالحفظ، وانبعاثها بالشهوة، كما أنه كان عالما باللغة ونحوها ومادتها وصرفها، وعالما في التفسير والحديث وفي الفقه والسيرة وفي التصوف، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الصوفي، بمعنى توفرت فيه كل ما تستوجبه الصوفية ومن بين أدعيته: "اللهم يا بديع السماوات والأرض يا قيوم الدارين ويا قيوم بكل شيء، يا حي يا قيوم يا إلهنا، لا إله إلا أنت، كن لنا وليا ونصيرا"، وأيضا كان له حزبا فكان يفسر الآيات.

²² - أحمد أبو كف، أعلام التصوف الاسلامي، ص 67.

²³ - المرجع السابق، ص 72.

وذكره الشعراني بقوله: «كان الجيلاني يتكلم في ثلاثة عشر علما وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درسا في التفسير ودرسا في الحديث ودرسا في المذاهب ودرسا في الخلاف...»

وعندما تصوف لبس جنية صوف ومشى حافيا قائلا: « كنت أشتغل بالعلم فيطرقني الحال فأخرج إلى الصحراء ليلا أو نهارا فأصرخ وأهيم وجهي»، أما نسبه من جهة أمه فهي الولية الفاضلة السيدة فاطمة أم الخير بنت الولي الصالح سيدنا عبد الله الصومعي، الزاهد الشريف الحسيني ولدته أمه وعمره ستون سنة، وبعد أن ضاع صيته وتآلق ونبع أصبح يفتي على المذهب الشافعي والحنبلي، وأصبح عميد العلماء على المذهين، ولقد كان يحضر مجلسه عدد كبير من المتعلمين.

وإذا ذهبنا إلى عمدته في التصوف وعلم الحقيقة فلقد أستند إلى جماعة من كبار المشايخ، على رأسهم الشيخ حماد بن مسلم الدباس، ولقد تتلمذ على يد القاضي الصوفي أبي سعيد المبارك المخزومي، ومن مؤلفاته التي تدل على مكانته وطريقته نجد:

1- طريقته الصوفية السنية التي تنسب إليه.

2- خطبه ومواظبه ورسائله.

3- مؤلفاته الصوفية من أذكار وأحزاب وشروح وفيوضات ربانية وهي:

أ- جلاء خاطر في الباطن والظاهر، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، فتوح الغيب، رسائله وأشعاره.

كما أنه صاحب الطريقة القادرية التي ظهرت في ظرف عصيب جدا، فلقد كانت دعوته استجابة منطقية لتحديات العصر بهدف نصره الدين وتجديد معالم السنة، ومواجهة دعوات الانحراف والابتداع والتطرف، وكذلك تميزت بالبساطة والوضوح في

رؤيتها المذهبية وتصوراتها الصوفية وطريقتها التربوية، مما ساعدها على الانتشار الواسع وكثرة المريدين فهي تعتبر أول طريقه صوفيه منظمة.²⁴

سيدي أبو الحسن الشاذلي:

ولد في قرية صغيرة بالمغرب الأقصى اسمها "غمارة" في عام 593 هـ، 1196 م لاقى وجه ربه في "خميثرا" أو "خميثرة" على ساحل البحر الأحمر بين القنا" و"القصور" عام 656 هـ، 1258 م، عاش ثلاثة وستون سنة ينتمي إلى قبيلة "عمران" في المغرب وهو من أسرة شريفة علوية، ونسبه علي بن عبد الله عبد الجبار بن تميم ابن هرمز حاتم ابن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن عطل بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، هذا من ناحية أبيه. أما من ناحية أمه فهي تنسب إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في قرية غمارة، نشأ في رحاب الإيمان وأخذ يدرس العلوم الدينية وسائل وغايات، برع في هذه العلوم براعة كبيرة، لكنه لم يكتفي بها، كانت له رغبة ملحة في التقرب إلى الله، ولقد اختار طريق التصوف والتبحر فيه، التقى بمجموعة من الأولياء وعلى رأسهم الإمام أبو الفتح الواسطي" كما أنه التقى بـابن مشيش الذي وصفه صاحب الدرر البهية "بأنه القطب الأكبر، والعلم الأشهر، والطود العالي المنام، وهو البدر الطالع الواضح البرهان، الغني عن التعريف والبيان..".

وقال ابن مشيش للشاذلي: «حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيء وقريبا من كل شيء ومحيطا بكل شيء، بقرب هو وضعه وبإحاطة هي نعتة...»

ومن وصاياه له قال: «يا علي، الله الله، والناس الناس، نزه لسانك عن ذكركم، وقلبك عن التمايل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية

²⁴ - عبد الله رزقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي، د/ت، د/ط، ص 74.

الله عندك ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقد تم درعك»، وهنا افترق من أستاذه ليسير في طريقه المرسوم.²⁵

وقد عاش حياته في الجبل لأن ذلك فيه فائدتين، الأولى التفرغ للعبادة، والثانية منع اللاهين المتطفلين من الجلوس على مائده الشيخ الروحية، ويوما بعد يوم أكثر المريدين حتى اجتمع على أبي الحسن خلق كثير.

كما أنه كان يخرج إلى الحج كل عام، وقد قال الأستاذ سالم عمار عنه "كان الشاذلي يلبس الفاخر من الثياب، ويركب الفاره من الجياد، ويتخذ الخيل الجياد"،
والله جميل يحب الجمال".

²⁵ - صلاح مؤيد العقبي، طرق الصوفية والزوايا في الجزائر وتاريخها، دار البراق، 2002/01/01، ص ص

المطلب الرابع: انتشارها وأهم فروعها.

بداية لقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمن الثعالبي، ومحمد بن يوسف السنوسي، وأحمد زروقة وغيرهم من الشيوخ وبذلك أخذ التصوف يدخل في مشرق ومغرب الجزائر وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه في الجزائر لعدة أسباب من ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي ويمكن تلخيص هذه الأسباب والعوامل فيمايلي:

1. عوامل فكرية: وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد، ولد لنا رجالا متصوفين بارزين في الجزائر وولد احترام العامة والخاصة لهم فنجد من بينهم: محمد بن يوسف الراشدي وعبد الرحمن الثعالبي والشيخ أبو مدين يضاف إلى كل ما سبق تأثر علمائنا بالمستشرقين انطلاقا من محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الحقيقة والشريعة.²⁶

2. عوامل سياسية: من بينها سقوط الأندلس وبذلك هجرة الكثير من الصوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية، والأمر الثاني هو سقوط دولة الموحدين.

3. عوامل اجتماعية: انتشار البذخ والترف عند فئات من المجتمع، وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية ومن جانب آخر فقد انطلقت الطريقة الدرقاوية لشق طريقها في أواسط الجماهير التي أقبلت عليها إقبالا كبيرا سواء في الغرب الأقصى (الموطن الأصلي لهذه الطريقة) أو في الجهة الغربية من الجزائر مثل: وهران، تلمسان، مستغانم، منطقة الونشريس، حيث تأثر بتعاليمها كثير من علماء الجزائر وأصبحوا من أتباعها مثل عبد القادر بن شريف الفليني الذي رجع إلى الجزائر بعد إنهاء دراسته بالمغرب الأقصى حيث تتلمذ على يد الشيخ العربي الذي

²⁶- صلاح مؤيد، طرق الصوفية والزوايا في الجزائر وتاريخها، ص 231.

أجازه في نشر الطريقة الدرقاوية الذي يعود إليه الفضل الكبير في نشرها وتكثير أتباعها الذي كان يتمتع بينهم بالتقدير والاحترام والسلوك القويم والزهد، وقد عرفت هذه الطريقة ثورات في جميع أنحاء الوطن سواء بعد الحكم العثماني أو الاحتلال الفرنسي فيما بعدا.

وقد كان مولاي العربي الدرقاوي في حياته حريصا على تزويد أتباعه بقواعد السلوك من خلال وسائله، ولعل من أسباب انتشارها الاعتماد على الريف كمجال لنشر تأليفها وأفكارها مستقلة بعدها عن الحكم المركزي من جهة والمستوى العقلي لسكان الريف من جهة أخرى ولعل من أهم تلك التعاليم ما يلي:

- نكر الله عن طريق التمايل.

- الامتناع عن الأذية.

- تجنب أصحاب السلطان والحكم.

- الاكثار من التهجد ليلا ونهارا.

- كبح الشهوات والصبر على الجوع.

- الابتعاد عن الأمور الدنيوية.

- التشدد في التقشف.

ومن الذين عملوا على نشرها بجهات الغرب الجزائري: أبو مواهب الشيخ محمد بن قدور المراكشي والشيخ محمد الثعالبي وقد ظهرت في تلمسان في أواخر القرن (19) تحت اسم الهبرية بواسطة الشيخ الدكالي الذي كانت له اتصالات برجالها.

هذه الطريقة ثورات في جميع أنحاء الوطن سواء بعد الحكم العثماني أو الاحتلال الفرنسي فيما بعد.²⁷

²⁷- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 231.

وقد كان مولاي العربي الدرقاوي في حياته حريصا على تزويد أتباعه بقواعد السلوك من خلال وسائله، ولعل من أسباب انتشارها الاعتماد على الريف كمجال لنشر تأليفها وأفكارها مستقلة بعدها عن الحكم المركزي من جهة والمستوى العقلي لسكان الريف من جهة أخرى ولعل من أهم تلك التعاليم ما يلي:

- ذكر الله عن طريق التمايل.
- الامتناع عن الأذية.
- تجنب أصحاب السلطان والحكم.
- الاكثار من التهجد ليلا ونهارا.
- كبح الشهوات والصبر على الجوع.
- الابتعاد عن الأمور الدنيوية.
- التشدد في التقشف.

ومن الذين عملوا على نشرها بجهات الغرب الجزائري: أبو مواهب الشيخ محمد بن قدور المراكشي والشيخ محمد الثعالبي وقد ظهرت في تلمسان في أواخر القرن (١٩) تحت اسم الهبرية بواسطة الشيخ الدكالي الذي كانت له اتصالات برجالها.²⁸

و ثانيا: أهم فروعها ولعل من أهم فروعها ما يلي:

1. الطريقة الهبرية: تأسست هذه الطريقة على محمد الهبري الإدريسي في الريف المغربي حيث زعم بمها أنه يريد تجديد الطريقة الدرقاوية ومن أقواله: لا يدخل طريقتنا إلا من كان مكتوبا من السعداء في اللوح المحفوظ أو شريفا، وقد أخذ وقد أخذ هذا الأخير العلم على يد الشيخ سيدي محمد بن قدور شيخ زاوية بمنطقة كركريا بالمغرب الأقصى وكان رفيقه في التلمذة الصوفي المعروف الشيخ حمو البوزيدي صاحب الزاوية المشهورة بمستغانم وهو الذي أخذ عنه الشيخ أحمد بن عليوة صاحب

²⁸- مختار بونقاب، الطريقة الدرقاوية الجزائر، الصفة والأثر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11-12، جامعة

معسكر، 2016، ص 374.

الطريقة العلوية وللطريقة الهبرية زاوية معروفة ببلدة ؟؟؟ في المغرب أما في الجزائر فلها أتباع كثر لاسيما في المناطق الغربية مثل ؟؟ وسعيدة ومعسكر و أولاد الأكراد بتيارت ويمتد نفوذها بين جبال الريف غربا ووهران شرقا. وقد عمل أتباعها على تربية الناس وتعليمهم والدعوة إلى الله والقيام ببناء المساجد والنهي عن المنكر والحث على فعل الخير وامتاز أصحابها بالخلق الطيب والكريم..²⁹

2. الطريقة العلوية: يرتبط اسم العلوية بالشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي الملقب بالشيخ هوالبوزيدي الذي تتلمذ على يد الشيخ بن قدور الوكيل، وقد أذن له هذا الأخير بالإرشاد والتربية وقد امتاز البوزيدي بحسن حفظه وجزارة علمه وقد أخذ عنه أحمد بن مصطفى بن عليوة مؤسس الزاوية العلوية، والذي انتسب لطريقة الشيخ سيدي أحمد بن عيسى المكاسي، عرف أنه كثير التنقل بين وهران ومستغانم وحتى أنه سافر إلى مصر وسورياوالهند مما ذاعت شهرتها وأسس زاوية يحيى ؟؟؟ على شاطئ البحر بمستغانم حيث اشتهرت بها المنطقة العلوية ولعل من أسباب عن الطريقة الدرقاوية هي:

استعمال الشيخ العلوي وسائل حديثة لبث أفكاره وتعاليمه بينما كانت تتركز زوايا الطرق الصوفية الأخرى العبادة والخلوات خاصة في الليل، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلهاالطريقة دورين: ديني وتربوي ويليها مشاركات في التعليم والتدعيم التربوي وتنظيم مائدةرمضان، حفلات ختان رمضان وغيرها..³⁰

3. الطريقة الحبيبية: تنتسب للعالم الفقيه محمد بن الحبيب الأسفاري الإدريسي الحسني الذينشأ بمدينة فاس من أسرة كريمة حفظ القرآن ودرس بجامعة القرويين، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن علي الذي يعد شيخه وأستاذه في الطريقة من

²⁹- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 221.

³⁰- العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا العدد 10، 1 افريل 1988،

الشيخ العربي بن هوارى إلى الشيخ العربي الدرقاوي، أذن له شيوخه بالتصدر المشيخة والبروز لنشر الطريقة، فأنشأ زاويته المشهورة بمكناس وتوافد عليه الناس لأخذ تعاليم الطريقة وأسس بعد ذلك مجموعة زوايا بالجزائر كزاوية معسكر، تنس، البليدة، وغالبا ما كان يزور مرديه سنويا لإرشادهم وتربيتهم عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة في التصوف والعلوم الشرعية فكان يعرف التصوف "أنه الجمع بين الحقيقة والشريعة والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه".

4. الطريقة البوعبدلية: تنتسب للشيخ عدة بن الموسوم بن غلام الله البوعبدلي، ولد

في

شلف حفظ القرآن ودرس التوحيد واللغة والحديث والفلك على يد محمد بن عبد الرحمن أجاد الفقه على يد أبي طالب المازوني انضم إلى الطريقة الرحمانية وأخذ عن الطريقة القادرية عرف بالعدل والنزاهة والاستقامة انشغل بالتعليم والعبادة والإرشاد فانتشرت طريقته من قصر البخاري شرقا إلى ثنية الحد إلى العطاف وغربا إلى مستغانم ومعسكر أسس زاوية في جبل سخون بتيارت³¹.

المبادئ القائمة عليها

لقد امتازت الطريقة الدرقاوية بمجموعة من المبادئ تفرد بها أتباعها من حيث المظهر وطريقة التعبد ومن ناحية اللباس حيث أنهم كانوا يقلدون كبار الصحابة في بعض المظاهر مثل: لبس المرقعات لأن أبي بكر وعمر لبسهما وحمل العصى لأن موسى حملها وهم يرقصون على اسم الله لأنه جعفر بن أبي طالب فعل ذلك وحمل السبحة كأبي هريرة في رقبته، كما أنهم يفضلون العزلة ويمشون حفاة ويحتملون الجوع ولا يخالطون إلا الصالحين ويتقادون أصحاب السلطة ويكثر من الصدقات،

³¹- مختار بونقاب، المرجع السابق، ص 380، 384.

إضافة إلى التعاليم السالف ذكرها³². أما بالنسبة لورد الطريقة فقد كان عبارة عن استغفار مائة مرة وقول: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. مائة مرة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وفي سائر الأوقات. "لا إله إلا الله" من غير عدد ولا كلفة مشقة ويلقن النساء بعد مائة استغفار: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة كما تميزت بالذكر المفرد وذلك أن يذكر المرید الاسم المفرد بسكينة وحالة تطبيقه وأن لا يذكر الله دون مد... وغيرها³³.

المبحث الثالث: روافد التصوف

المطلب الأول: المذاهب الصوفية:

1. التوبة: يختلف الإنسان عن بقية المخلوقات والكائنات التي تسكن معه على هذا الكوكب فقد خلقه ربه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء. وأظهر فضله على الملائكة وجميع المخلوقات وطرد إبليس من رحمته واتخذه عدواً له.

والإنسان بطبيعة الحال خلق ضعيفاً يتقاذفه صراع مع نفسه وصراع مع عدوه اللدود الذي لا يتعب ولا يمل الوسوسة له حتى يقع في المحذور ويرتكب الذنوب التي تعرض للعقاب والعذاب الأليم. هذه الذنوب لو أعددنا لها إحصائية لفاقت الملايين يرتكبها الإنسان دون أن يدري، وقد يكون مصدرها الإنسان ذاته عن طريق حواسه "المادي أو فكره" العقل" أو يجب على الذاكرين مراعاة ما يلي:

- الذكر بالقلب

- لا ينفصل القلب والعقل عند الذكر

³²- دجين السهلي عبد الله، الصوفية منشأها وعقائدها وآثارها، ط1، كنوز إشبيلية، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص 35.

³³- دجين السهلي عبد الله، الصوفية منشأها وعقائدها وآثارها، ص 35.

- أن يحذر الذاكر الغفلة كالنوم

وقد وضع الله سبحانه للذاكرين من الخير كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن الله تعالى قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي وأنا معه حيث يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»

2- الخوف: يحذرنا الله عز وجل من الخوف من المخلوقات أو من ضياع المناصب أو الفقر، وقد فرضه علينا منه كقوله: «وإياي فارهبون» البقرة 40 وأيضا «فلا تخشوا الناس واخشوني» المائدة 44.

ومعنى الخوف هو الخروج من الطمأنينة، وذلك أن المسلم يغلب عليه الخوف لمعرفة الوعد والوعيد والترغيب والترهيب.³⁴ وللخوف ثلاثة أنواع:

- خوف العامة: اضطراب قلوبهم حين سماعهم الوعد والوعيد

- خوف الأوساط: خوفهم من قطيعة الله

- خوف الخواص: خوف حب وتكريم وخشية من الله.

يقول أبو حفص في الخوف "الخوف سوط الله يقوم به الشاردينعن بابه"

وقال نو النون: "الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا".

احساسه ووجدانه "القلب والروح" يرتكبا في حق نفسه وأسرته ومجتمعه، ورحمة به أوجد الله سبحانه وتعالى سترا لهذه الذنوب أو غسلا منها عن طريق التوبة.

ومعنى التوبة ألا يقترب صاحب الذنب أي ذنب آخر وأن يبتعد عن كل عمل فاسد أو فعل فاحش أو تفكير ضال أو ظن سيء، ولا يستمع إلى هوى نفسه أو وسوسة

³⁴- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، ص 92-93.

الشیطان، وقد حث الله سبحانه على التوبة وربط بينها وبين الفلاح والنجاح لعباده المؤمنين حيث قال عز وجل «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»
سورة النور ٣١

كما قرر الإسلام أن التوبة حقيقية إذا أقلع الفرد المذنب عن العودة إلى ارتكاب الذنب مرة أخرى، حيث يقول عز وجل «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا» التحريم ٨.

وأن يتوب الانسان من ذنوبه ومن غفلة قلبه أن يأتيه الموت فلا تقبل منه التوبة، يقول عز وجل «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما» النساء ١٧. فالذي عمل السوء هو من يتوب.

3. الذكر: ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحض على ذكر الله سواء كان بالقلب أو باللسان، ونستعرض هذه الآيات لنرى مدى أهمية الذكر بالنسبة للمسلم كقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» الأحزاب 41-43 وإذا نسي الانسان ربه أنساه الله نفسه كقوله تعالى «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم» الحشر ١٩.

وقد فرض الله على المسلم أن يذكره عقب كل عبادة يقضيها، لأن ذكره ينهي عن الفحشاء والمنكر، كما أن الذكر يعطيه الشحنة القوية من الإيمان ليستمر في عبادته الله عز وجل، حيث يقول «فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم» النساء ١٠٣. 35

35- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، 1999، د.ط، ص 88.

وكما هناك توبة بعلم كما ذكرت فيوجد خوف بعلم وهو أعلى درجات الخوف كقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال صلى الله عليه وسلم: "إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية"، وهناك أنواع كثيرة من الخوف:

- الخوف الله: لعامة المسلمين والمؤمنين

- الخشية الله: للعلماء والعارفين بالله

- الهيبة لله: للمسبحين لله

- الإجلال الله: للمتقربين

وللخوف عدة درجات متفاوتة فيما بينها منها:

- الخوف من العقوبة: يتولد نتيجة التصديق بالوعد والوعيد

- خوف من المكر: وهم من حسن الأعمال نعملها وتبديل حالنا من الأنا

إلى الوحشة. - خوف أهل الخصوص: وهو يكون وقت تضرع العبد للرب واستعطافه

بأسمائه ومناجاته بكلامه.³⁶

ويرى بعض المتصوفة: أن ينقل قلبك من وطن الدنيا مسكنه إلى وطن الآخرة، ثم

تقبل به كلية على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منها وما نزل لأجله

وخذ نصيبك وحضك من كل آية من آياته ونزلها على داء قلبك".³⁷

4. التوكل: للتوكل تعريفات وتفسيرات كثيرة منها:

1- عمل قلبي ليس باللسان ولا عمل الجوارح.

2- علم القلب بالله سبحانه وتعالى.

3- الاسترسال مع الله عز وجل.

4- الرضى بالمقدور وأن يرضى بما قدره يقدره الله.

5- الثقة بالله والطمأنينة والسكون إليه.

³⁶- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 90-98.

³⁷- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 29.

ونجد أيضا قول بشر العافي: "يقول أحدهم: توكلت على الله -يكنذب على الله - لو توكل على الله رضي بما فعله الله"

ويقول ابن عطاء "التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب من شدة فافتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها".

ويقول أبو تراب النخشي: "طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر وإن منع صبر".

وهناك آيات عديدة وكثيرة لفئات مختلفة من المتوكلين وهي:

- المؤمنون: كقوله تعالى «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» المائدة ٩٣.

- أولياء الله: كقوله تعالى «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» الممتحنة

4. - للرسول صلى الله عليه وسلم: «فتوكل على الله إنك على الحق المبين»

النمل ٧٩.

- للأنبياء والرسول عليه الصلاة والسلام: «وما لنا ألا نتوكل على الله ولقد هدانا

سبلنا» إبراهيم ١٢.

وللتوكل عدة درجات منها:

- التوكل: بداية اتصال العبد بربه.

- التسليم: التسليم لله في كل الأمور.

- التفويض: هو نهاية ما يصل إليه العبد بالله وهو صفة الموحدين ولا نصل

إلى التوكل إلا ب: معرفة الله وقدرته وانتهاء الأمور إلى علمه وطرد كل شرك،

والاعتماد على الله، وحسن الظن به، وينقاد إليه، والرضى بالله وبما فعله.³⁸

5- الولاية: معنى كلمة الولي في اللغة هو القريب، والمراد بأولاء الله الذين

فازوا بالقرب من الله سبحانه وتعالى بطاعته واجتتاب معصيته، وهم فئة قليلة من

³⁸- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 98-100.

المؤمنين، كقوله تعالى «ألا إن أولاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون» يونس ٩٢-٩٣.

وهناك عدة تفسيرات لكلمة الولي هي:

- العالم بالله المواظب على طاعته المخلص له في عبادته

- نصير الله

- من آمن واتقى

- المحب لله

- الذي تولى هدايته بالله بالبرهان وتولى القيام بحق عبوديته الله والدعوة إليه.

- الاستغراق في معرفة الله والايان بقدرته

- أن يتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله

- الذي يؤيده الله وينصره.

والولاية قسمان: عامة وخاصة

فالعامة تشمل جميع المؤمنين حيث يقول الله «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» البقرة ٢٥٧.

والولاية الخاصة تشمل جميع المقربين إلى الله بالمواظبة على الطاعة وقد قسم الإمام ابن تيمية الأولياء إلى طبقتين:

1. سابقون ومقربون وهم في جنات النعيم وهم قلة من المؤمنين.

2. ابراز مقتصدون: الذين يؤدون الفرائض والنوافل وهم مقربون الله في جنات النعيم وقد حذر الله بعدم إيذاء هذا الولي وأن معاداته من عداء الله³⁹ ، فعن أبي هريرة

³⁹- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 101-102.

رضي الله عنه قال قال رسول الله "قال تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب".⁴⁰

6. الحب الإلهي: الحب هو أسمى وأرقى العلاقات الإنسانية في الوجود ويتأثر نتيجة العلاقات الطيبة بين المحب ومحبيه في أول الطريق وتأتي هذه العلاقات الإنسانية السامية نتيجة صفاء القلب ونقائه بما فيه من شوائب مختلفة الألوان، وتظل هذه العلاقات تلو وتظهر وتتشابك لتؤدي إلى تطويع إرادة المحب تحت تصرف محبوبه في نهاية المطاف يمنح المحب أعلى ما لديه وأشرف ما يملكه لمحبيه وهو اقلبه". ولا توجد حدود للمحبة، بل لها آثار وشواهد تتصرف عليها وتتلخص في نقاط هامة منها الميل الدائم نحو المحبوب والإيثار، وهذه بداية بحار المحبة التي لا قرار لها.

حيث نجد أبو يزيد البسطامي يقول: "المحب الصادق لو بذل لمحبيه جميع ما يقدر عليه الاستغنى عنه منه ولو ناله من محبيه أيسر شيء لاستكثره واستعطاه".

ويقول الجنيدى حينما سئل عن شواهد المحبة: "سمعت الحارث المحاسبي يقول عن المحبوب ميلك له بكليتك وإيثارك له على نفسك وروحك، ومالك، ثم مرافقتك له سرا وجهراء ثم علمك بتقصيرك في حبه".

ويوضح لنا الخالق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حبه لعدة فئات من المؤمنين وهم:

1. المحسنون: في قوله «والله يحب المحسنين» آل عمران 148.

2. الصابرون: «والله يحب الصابرين» آل عمران ٣١.

⁴⁰- رواه البخاري عن أبي هريرة وأحمد بن عائشة والطبراني في الكبير عن أبي أمامة، لبخاري،، دار الشعب، ص 181.

3. التوابون المتطهرون بقوله «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» البقرة 222. 4. المجاهدون في سبيله بقوله «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» الصف 4.

5. المتقون: في قوله «فإن الله يحب المتقين» آل عمران 4186

7. الذوق: مدار الذوق عند الصوفية هو القلب، ويرى الشيخ أبو نصر سراج الطوسي أنالذوق هو تلقي الأرواح الأسرار الظاهرة من الكرامات وخوارق العادات. ويقال أن الذوق هو طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له⁴². ويقول ابن عربي في الفتوحات المكية: "وأخذناه عن الحي الذي لا يموت" ويقسم أئمة التصوف العلوم الصوفية إلى ثلاثة:

1. العلوم العقلية: تتم عن طريق البحث عن الأدلة والحصول على براهين.
2. علوم الأحوال: تتم عن طريق الذوق ويتفرغ منها عدة علوم الوجد - العشق - الشوق.

3. علوم الأسرار وهي علوم لا تخص إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

كما أن أثر الذوق يبقى في القلب ويطول تأثيره. وللذوق عدة درجات منها:

- ذوق الإيمان: إن العبد إذا ذاق طعم الدعوة من الله على إيمانه وتصديقه، جد فيالعبادة وأعمال البر للثقة بالوعد عليها.
- ذوق الأنس بالله: لا يتعلق العبد بشيء يشغله عن سلوكه وسيره إلى الله لشدة طلبهكما أن الأنس بالله حالة وجدانية، وتقوى هذه الحالة بدوام ذكر الله وأن يكون العبدصادقا في جبهه لله وكلما كان القلب أقرب لله كان أنسه به أقوى.

41- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 104-106.

42- محمد يوف حمودة، ص 147.

- ذوق الانقطاع لله سبحانه وتعالى: بأن يتذوق العبد طعم القرب من الله بالانقطاع
عما

سواه.⁴³

فالذوق هو طريقة الايمان هو الذي يجمعه إلى وبالله وكما يقول بعض المتصوفة
"من وافق الله فهو المؤمن المتوحد، ومن وافق الأشياء فرقتة الأهواء".⁴⁴

8. الصبر: معنى الصبر هو حبس النفس أو الكف عن الشيء كقوله تعالى

«واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» الكهف ٢٨
والصبر معناه أيضا حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكر والجوارح عن
العمل الفاحش.

ولقد أمرنا الله بالصبر فيقول: «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة» البقرة
١٠٣ وأيضا قوله «اصبروا وصابروا» آل عمران ٢٠٠. وقوله أيضا «واصبر وما
صبرك إلا بالله» النحل ١٢٧.

ولقد أثنى الله على الصابرين في قوله «الصابرين والصادقين» آل عمران ١٧.
وأیضا «والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
المتقون» البقرة ١٧٧. ولقد أوضحه عز وجل مكانة الصابر عنده بأنه من المحبوبين
لديه كقوله «والله يحب الصابرين» آل عمران ١٣٦. ولقد سخر لهم الجزاء بقوله
«ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» النحل ١٢٦. وأيضا «وإن تصبروا خير لكم»
النحل ١٢٦. وقوله «ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»
النحل ٩٦.⁴⁵

المطلب الثاني - أشهر الطرق الصوفية

⁴³- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 109-110.

⁴⁴- حسن محمد الشرقاوي، ألفاظ الصوفية والمعرفة، ص 168.

⁴⁵- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص 110-111.

من هذه الطرق المشهورة والمنتشرة في العالم الإسلامي:

1- الطريقة الجلالية:

والتي تنسب إلى عبد القادر الجليلي المدفون في بغداد، حيث يزوره كل عام أعداد كثيرة من أتباعه للتبرك به.

2- الطريقة الرفاعية:

التي تنسب إلى أحمد الرفاعي، وهو من بني رفاعة احدى قبائل العرب وجماعته يستخدمون السيوف والضرب بالشيش، ودخول النيران في إثبات الكرامات.

قال عنهم الألوسي في كتابه: غاية الأمانى في الرد على النبهاني

"وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة، مبتدعة الرفاعية فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها ومأخذها فدرهم عبارة عن رقص، وغناء، والتحاء... إلى غير الله وعبادة مشايخهم.

وأعمالهم عبارة: عن مسك للحيات، أو كما قال " أ.هـ

تنفق الطريقة الرفاعية مع الشيعة في أمور عدة منها:

إيمانهم بكتاب الجهر، واعتقادهم في الأئمة الاثنا عشر وأن " أحمد الرفاعي " هو الإمام الثالث عشر بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن في يوم " عشوراء " وغير ذلك من الأمور المبتدعة الضالة التي تثبت لا في كتاب ولا في سنته.

3- الطريقة البودية:

تنسب إلى " أحمد البدوي"، والذي ولد بفاس في المغرب ثم حج و رحل إلى العراق، واستقر في جمهورية مصر العربية حتى وفاته له فيها ضريح مقصود، إذ يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولوده سويًا يمارس فيه الكثير من البدع

والشركيات والانحرافات العقديّة ودعاء واستغاثة وتبرك وتوسل يوقع في الشرك المخرج من الملة⁴⁶.

المبحث الثالث: مدارس وطرق الصوفية

المطلب الأول: مدارس الصوفية

تتكون من أربعة مدارس نذكرها فيما يلي:

1- مدرسة الزهد:

وأصحابها من النساك والزهاد والعباد والبكائين

* ومن أفرادها:

1- رابعة العدوية

2- ابراهيم بن أدهم

3- مالك بن دينار

2- مدرسة الكشف والمعرفة:

هذه المدرسة هي التي تقوم على اعتبار أن العقل وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ لا بد أن يتطور المرء بالرياضة النفسية ، حتى تتكشف عن بصيرته غشاوة الجهل، وتبدوا له الحقائق جلية واضحة.

- وزعيم هذه المدرسة: أبو حامد الغزالي رحمة الله عليه

3- مدرسة وحدة الوجود: محي الدين ابن عربي

4- مدرسة الاتحاد والحلول:

* زعيمها الحلاج

⁴⁶- الشيخ ممدوح الحربي: الصوفية وطرقها، ص 19، ص 20.

ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والديانة النصرانية، حيث يتصور الصوفي في هذه المدرسة أن الله تعالى قد حل فيه عياذ بالله، وأنه قد اتخذ هو بالله عياذ بالله فمن أقوالهم:

" أنا الحق وما في الحبة إلا بالله!! "

وما إلى ذلك من الأقوال التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر، كما يقولون: " بخمرة الشهود"⁴⁷.

أتباع طريقته منتشرون في مختلف محافظة جمهورية مصر العربية، ولهم فيها فروع: كالبيومية، والشانوية، وأولاد نوح، والشعبية

- وإشارات هذه الطريقة أو غلامتها: هي: " العمامة الحمراء".

4- الطريقة الدسوقية:

تنسب إلى ابراهيم الدسوقي المدفون بمدينة " دسوق" في مصر، ويدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم في تدبير هذا الكون -عياذا بالله تعالى.

5- الطريقة الأكبرية:

نسبة إلى الشيخ محي الدين بن عربي

* وتقوم هذه العقيدة:

أ- على وحدة الوجود الكفرية اللاحادية

ب- وعلى الصمت: أي عدم الكلام ما أمكن

ج- والعزلة والجوع والسهر

6- الطريقة الشاذلية:

نسب إلى ابي الحسن الشاذلي المولود بقرية عمارة قرب مريسية في بلاد

المغرب ثم انتقل بعد ذلك إلى تونس، وحج عدة مرات ثم دخل العراق ومات أخيرا

⁴⁷- ممدوح الحربي، الصوفية وطرقها، د- ط، د- ت، ص 19.

في صحراء عذاب بصعيد مصر في طريقه إلى الحج. وانتشرت طريقته في دولة مصر واليمن وكذلك في مراكش وغرب الجزائر وفي شمال افريقيا وغربها.

7- الطريقة الباكداشية:

والتي كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا.

هي أقرب إلى التصوف الشعبي منها التصوف النسبي.

وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول غير المسلمين، قد كان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم⁴⁸.

8- الطريقة المولوية:

- أنشأها: الشاعر الفارسي جلال الدين الروسي، والمدفون في مدينة قونيا في تركيا، وأصحابه يتميزون بإدخال الرقص والايقاعات في حلقات الذكر.

- وقد انتشروا:

في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلى بعض التكايا في تركيا وفي مدينة حلب، وفي بعض أقطاب المشرق.

9- الطريقة النقشندية

تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب: " شباه نقشبند"، وهي طريقة سهلة كالشاذلية من حيث الأذكار والأوراد.

- انتشرت هذه الطريقة:

في بلاد فارس وفي بلاد الهند، وآسيا الغربية.

هناك طرق كثيرة غير التي ذكرنا كالقنائية، والقيروانية، والطريقة المرابطة والشيشية والسفسية، والمختارية، والختمية ... وغيرها.

48- ممدوح الحربي، الصوفية وطرقها، ص 21.

لا شك أن كل هذه الطرق - اخواني في الله- طرق بدعية، قد انحرفت عن نهج الكتاب إلا من رحم ربي.

10- الطريقة القبيسية

وهي جماعة نسائية صوفية على الطريقة القبيسية، وتتسبب هذه الجماعة - المسماة بالقسيات إلى امرأة تسمى: " منيرة قيسي" وهي سورية، وقد تخرجت من كلية علوم من جامعة دمشق ثم التحقت بكلية الشريعة وعينت مدرسة بإحدى مدارس دمشق (دمشق).

كان عمها من التلاميذ الشيخ أحمد كفتار، مفتي سوريا. وهو الذي أشار عليها بالدخول في الطريقة النقشبنديّة الصوفية.

- من عقائد هذه الجماعة الخاصة بالنساء القول:

بالحلول ووحدّة الوجود، إضافة إلى تعظيم أئمة الصوفية القائلين بهذا القول " كابن عربي والحلاج"⁴⁹

49- الشيخممدوح الحربي، الصوفية وطرقها، ص 22.

الفصل الثاني

اعلان عن هوية

ولى نشوتى وعذابى
لى النار والحلم والرغبة الجامحه
وتوق يرف مع الغيمة الرائحه
لى الأمل البكر أنهل من فيضه
وأعب رحيق الحياة
فيحضر عمري ويعشب دربي
وتتمو حدائق هذا الهوى ملء قلبي
وعشقي أنا وغرامي
عذابات صبح
وتحنان جرح
ودوامة من ضرام
هرقت جرار دموعي
على شيق الارض فانهمرت في الصقيع
وعبر حقول الرماد الحزين
جداول من ثورة وحنين
وسرت إلى الله أحمل حزن الشعوب
مرارات شهد
جراحات شهد
جراحات ورد
وسرت وحيدا غريب
وما زلت أبكي

ويبكي معي الغيم والريح والنجمة السابحة⁵⁰

لفجر غريق وميت عشيق

وقمرية نائحة.

1- دراسة نزعة التصوف للمرحوم عثمان لوصيف: نموذج ديوان "كتابة بالنار" نجد

الشاعر عثمان لوصيف في قصيدة "إعلان عن هوية" يستخدم عبارات صوفية

تتمثل في: "نشوتي، عذابي، النار، الرغبة....) المتمثل في الأبيات التالية:

ولي نشوتي وعذابي

لي النار والحلم والرغبة الجامحة

وتوق يرف مع الغيمة الرائحة

لي الأمل البكر أنهل من فيضه

وأعب رحيق الحياة

استعمل هذا المقطع باللغة الصوفية: التي تدرج فيها شاعرنا للبحث عن

هويته والوصول في نهاية هذه التجربة إلى أن عملية انشاد سبل الله وطريقه ليست

لها صحبة ولا ماديات ولا شباب إنما هي: عمرية تنسيق من الذات في ناشئها

البحثي بكل منطلقاته الخاصة ودونها مراعاة الركائز الخارجية تسندها حيث أن الذات

هي: وحدها التي تأزمت في خضم تلك الانفعالات والرغبات وهذا ما يظهره في نهاية

المقطع في قوله:

وسرت وحيدا غريب

وما زلت أبكى

ويبكي معي الغيم والريح والنجمة السابحة

لفجر غريق

⁵⁰ - عثمان لوصيف: الكتابة بالنار، ص ص 15-16.

وميت عشيق

وقمرية نائحة

- كما نلاحظ في المقطع تلك المحطات التي يتوقف فيها المرحوم عثمان لوصيف وهو: يحن عن هويته عن ذاته بين كل تلك التازمات التي عاشتها النفس في رحلة البحث - غربة-

وحزن وألم وشتا تنهديه الشاعر بين مفاصل السطور

ليؤكد يقينا أن لا أحد قادر على أن يمحو هذا التغريب إلا وجهد تعالى في قوله:

وسرت إلى الله أحمل حزن الشعوب

مرارات شهد

جراحات ورد

- بفعل تصوفي مارسه اللغة من خلال: (نشوتي، عذابي، الرغبة... إلخ)

- كما أن الشاعر المرحوم لوصيف في هذه القصيدة: يمارس فعل التصوف من خلال تجرده من كل تلك الشوائب الحياتية التي أقعدته في صقيع الجراج وعذاباتهما وانفراج فسحة الأمل من خلال البحث عن الهوية المتسلحة عنها بالاتجاه نحو: طريق الله الذي مثل: اسناد نوعي لحالة من الفرح والعشب على فيض الأمل المحضر من خلال الأبيات التالية:

لي الأمل البكر أنها فيصه

وأعب رحيق الحياة

فيحضر عمري ويعشب دربي

وتتمو حدائق هذا الهوى ملء قلبي

وعشقي أنا وغرامي

عذابات صبح

وتحنان جرح

ودوامة من ضرام

حرقته جراح دموعي

المصطلحات الصوفية

التي استعملها المرحوم عثمان لوصيف في قصيدة " اعلان عن هوية" (الرغبة، النار، ورد، قمرية، هوية....) والتي شرحها ابن عربي في ديوانه: ترجمان الأشواق ووضع لها عدة معاني

نار: الصعاب والمكاره التي يقترحها السالك في طريق إلى الله

الرغبة: رغبة النفس في الشواب، ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق

ورد: رمز على مقام حياء

الهوية: الحقيقة في عالم الغيب

قمرية: نفس عارف مثله

قصيدة لامية الفقراء

1/ رمز الطبيعة

تعتبر الطبيعة رمزا من الرموز الموظفة في شعر عثمان لوصيف رحمة الله عليه والتي استلهم لدلالاتها من مدركات وصور حسية تتعلق بالطبيعة الجرداء الهامدة من صخور كابية وجبال وصحاري شاسعة وربوع عافية وأطلال دراسة، وأخرى استمدوها من الطبيعة عندما خصب وتهتز وتونع وتربو⁵¹

اختلف شعر الطبيعة لدى الصوفية عن الشعر التقليدي الموروث حيث أهابوا بالطبيعة كما فعلوا بشعر الغزل الذي تحول لديهم إلى مكافئ رمزي لأسرار

⁵¹ -الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودت نصر، دار الاندلس، (ط1)، بيروت، 1978، ص 06

غنوصيته، تدور على الحكمة المقدسة والتجلي الالهي في الصور والتضايق بين الفعل والانفعال بنسق رمزي مميز.

كما يقول المرحوم عثمان لوصيف: في قصيدته " أناديك يا زهرة العاشق"
أحبك في شهوات البحار وحزن المطر
وفي دمدمات الرياح وخفق البروق
و عشق الشجر

أناديك يا زهرة العاشق ومروحة الفقراء⁵²

نجد المرحوم عثمان لوصيف في الطبيعة متنفسه الوحيد الذي لم يبخل عليه بسيء
وظهر ذلك في هذه القصيدة كما أنه استخدم كل هذه الرموز الطبيعية (الشجر،
البحار، زهرة، الرياح، البروق، المطر.....)

تدل على مدى ارتباط المرحوم عثمان بالطبيعة

في ديوان " الكتابة بالنار" فقد ظهرت الخمرة رمزا للتحدي والتصدي والوقوف أمام
الواقع الأليم وهنا المرحوم شاعرنا لوصيف "عثمان" من خلال هذه القصيدة " لا مية
الفقراء" التي فيها كل رموز التحدي والقوة يقول:

حلبنا الخمر نارا تلظى وخضنا البحر في دمع الغزال

نفهم من خلال هذا البيت أن المرحوم عثمان لوصيف ومن معه من فقراء العالم قد
الخمر من النار بالرغم من الخمر يعتصر من عنب⁵³. فقد هاموا وتاهوا وهم "
سكارى" في الظلال. يتضح ذلك من خلال البيت الموالي:

وفي عينيك كم همنا وتهنا سكارى بين أجنحة الظلال⁵⁴

أصبحت الخمرة عند الشاعر عثمان لوصيف رمزا من رموز: التحلي والقوة

⁵²- ديوان الكتابة بالنار، عثمان لوصيف، دار البحث قسنطينة (الجزائر)، ط 1، 1403-1982م، ص 26

⁵³- المصدر نفسه، ص 20

⁵⁴- المصدر نفسه، ص 23

قصيدة: آه يا جرح !

رافلاتبين القصور سكارى تبارى على عروش الرئاسة⁵⁵

1- رمز الطبيعة:

المرحوم عثمان لوصيف في الطبيعة متنفسة الوحيد الذي لم يبخل عليه بشيء وظهر

ذلك في قصيدته " أنا ديك يا زهرة العاشق "

ويتضح ذلك من خلال هذا البيت الموالي (الأبيات):

أحبك في شهوات البحار وحزن المطر

وفي دمدمات الرياح وخفق البروق

وعشق الشجر

أناديك يا زهرة العاشق ومروحة الفقراء

نلاحظ أن توظيف المرحوم لوصيف كل هذه الرموز الطبيعة (الشجر، زهرة)

تدل على حبه العظيم لمحبووبته.

فرمز الطبيعة: هو رمز من رموز الموظفة في شعره والتي استلهم بدلالاتها من

مدركات وصور حسيته تتعلق بالطبيعة الجراء الهامدة من صخور وجبال ... إلى

غيرها

- كما وفي قصيدة الكتابة بالنار

خارطته تسكن في البرق وفي الرياح

حدودها تمتد في ضلوعي

بحارها تكبر في دموعي

وطقسها مضمخ بعبق الجراح⁵⁶

2- رمز الخمر:

⁵⁵-المصدر نفسه، ص 36

⁵⁶- عثمان لوصيف، كتابة بالنار، ص 26، ص 57.

اشعار الشاعر قيما صوفية أخرى للإيحاء بروحانية التجربة الصوفية وفناء الشاعر " والخمرة هي الفاصل بين الوعي واللاوعي، بل هي إحدى الوسائل التي يمكن أن يستدعي بواسطتها في اللاشعور من مخزونات وهي بعد هذا السبيل المقضي إلى الغياب الإنساني عن هذا الوجود المعفر⁵⁷

فوجد الشاعر عثمان لوصيف وظف لرمز الخمرة ويتبين ذلك في شعره ويتضح ذلك في قصيدته " آه يا جرح" في ديوان الكتابة بالنار:

آه يا جرح والطواويس نشوى ساحبات ذيولها مياسه

رافات بين القصور سكارى تتبارى على عروش الرئاسة⁵⁸

نلاحظ: فالسكر خرج من دلالاته الحسية، فأصبح يدل على إنشاء الصوفي، وإبراز عطشه إلى المحبة الإلهية، مترجمة في تأجج لهب نفس الشعراء.

- وورد في قصيدة " أغنية إلى الفراشة" رمز الخمرة ومن دلالاتها أنها رمز للمحبة الإلهية إذ أنها هي الخمر الأزلية التي شربتها الأرواح المجردة، فانتشت وأخذها السكر، واستحقها الطرب⁵⁹.

فاستخدام الشاعر عثمان لوصيف اللغة الصوفية وتظهر خلال عنونته للقوائد:

فعنوان " أغنية إلى الفراشة: لغة صوفية وأظهر فيه رمز الخمرة

نهلت من كأس الجوى

غمست قلبي في عبير الدمع مرتين

وسرت يا حبيبيتي

⁵⁷- عجال (كمال): حدس وارهاص، باتنة للمعلوماتية، الجزائر، ط1، 2003، ص 28.

⁵⁸- عثمان لوصيف، كتابة بالنار، ص 36.

⁵⁹- جودة ناصر (عاطف): الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، ط1، 1983، ص 366.

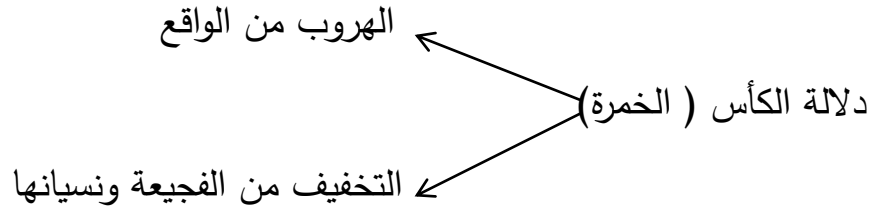
سرت على الأشواك في فمصدى أغنية
وفي يدى رماد زهرتين⁶⁰.

وهكذا تتراوح اللغة عند الصوفية، ولا تبقى على الدلالة الظاهرة أو المألوف في الألفاظ وتأخذ بعد رمزيا، فتصبح البنية العميقة لهذه اللغة تدل على الحب الإلهي، الذي يشعل نارا، ويتأجج لهيبا في نفس الشاعر، فيزداد شوق المحب وحنينه.

- نجد في قصيدة "العناق الطويل" توظيف رمز الخمرة أيضا:

تتلاقى المياه وهي سكارى وتطيع الشيطان في الشيطان

وهكذا فإن الشاعر يحتمي بالكاس والخمرة لمواجهة الأمانى والوعود الكاذبة وبالتالي يوظف الشاعر (الكأس) للتخفيف من الفجيرة ونسيانها ومن ثم تكون دلالة الكأس



تمهيد:

عثمان لوصيف من الشعراء الجزائريين الذين كانت لهم تجربة شعرية مميزة تعكس كثيرا من أوجه الحداثة الشعرية، فتجربته تلك تبرز موقفه الوجداني من الحياة من ناحية، وتكشف رؤيته العميقة للإنسان والعالم من ناحية ثانية. وهذه التجربة الشعرية الحداثية تتجاوز اللغة العادية وتركز على لغة انزياحية رامزة تنهل من روافد متعددة لعل أبرزها الخطاب الصوفي الذي استطاع من خلاله هذا الشاعر كسر النمطية الشعرية المألوفة وتجاوز الطرائق التعبيرية التقليدية. ومن ثم تنوعت

⁶⁰- عثمان لوصيف: الكتابة بالنار، ص 45، ص 50.

موضوعات شعره في ظل هذه التجربة الصوفية بين الحب الإلهي والاتحاد من جهة، و المرأة والطبيعة من ناحية ثانية، إلى جانب التضاد اللغوي، ومعها تعددت دلالات لغته الشعرية الرامزة، فانعكس كل ذلك على شعره عمقا وثراء.⁶¹

الكلمات المفتاح: شعر معاصر، حداثة، تجربة الصوفية، لغة رمزية

أولاً- توطئة

لم يعد الشعر العربي المعاصر تعبيراً عن تجربة عابرة وسريعة، أو تقديم رؤية جزئية للأشياء، بل أصبح تعبيراً عن تجربة إنسانية شاملة، وذلك حين أعاد الشاعر الحدائي ترتيب علاقته بذاته والعالم، ومن ثمة «صارت القصيدة الحديثة لحظة كلية تستوعب الوضعية الإنسانية في شموليتها»⁶²، مستفيدة في ذلك من انفتاحها على تجربة الخطاب الصوفي الذي تجاوز لغة التواصل العادية إلى توظيف لغة أكثر إحياء ورمزية، الأمر الذي دفع الشاعر الحدائي المسكون بهاجس البحث عن عالم أكثر كمالاً من عالم الواقع الفظيع، إلى استعارة هذه «اللغة الصوفية، بما هي لغة لشمولية التجربة الإنسانية في أبعادها جميعاً». إن هذا التواشج بين الخطابين يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة العلاقة القائمة بين الخطاب الصوفي والخطاب الشعري المعاصر؟ وكيف استفاد الشاعر الحدائي من خصوصية التجربة الصوفية؟ وأين يبرز هذا التوظيف في تجربة الشاعر الجزائري عثمان لوصيف؟

المطلب الأول: الشعر المعاصر واللغة الصوفية:

في خضم ما عرفته القصيدة العربية المعاصرة من تحولات سعى الشعراء المعاصرون سعياً حثيثاً إلى تنويع طرائقهم التعبيرية بغية تجاوز النمط الأسلوبي

⁶¹- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-1586 ص 10-25.

⁶²- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-1586 ص 10-25.

التقليدي، فكان التوجه إلى اللغة الصوفية أحد خياراتهم التعبيرية لإدراكهم مدى أهمية الخطاب الصوفي كعنصر تراثي، « فإحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية وبالمعطيات والنماذج التي تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها فيما لو وصلت أسبابها بهما، ولقد أدرك الشاعر المعاصر أنه باستغلال هذه الإمكانيات يكون قد وصل تجربته بمعنى لا ينضب بين القدرة على الإيجاد والتأثير»⁶³. هذا التقاطع اللغوي بين الشعر الحدائي والخطاب الصوفي أدى إلى اتحاد التجربتين في طريقة التعبير التي تقوم على الإيحاء والغموض والابتعاد عن التقريرية والوضوح، فكما في اللغة الصوفية، يسعى شعراء الحدائة إلى تجاوز اللغة التواصلية بخلق لغة ثانية داخل اللغة تقوم على «الرمز والإشارة»⁶⁴. وإذا كان الصوفيون قد أقبلوا على هذه اللغة انطلاقاً من دافع موضوعي هو «عجز اللغة التقليدية عن الوفاء بما يكفي للدلالة على المعاني التي حملها الخطاب الصوفي لما فيه من دقة وعمق»⁶⁵، فإن الشعراء المعاصرين قد انطلقوا من واقع الحدائة التي تسعى إلى التجاوز المستمر للقديم، وكسر رتابة الأساليب المألوفة، فالشعر كما التصوف إنما هو نزعة حدسية تتمرد على قوانين العقل والمنطق في سعيها للكشف عن جوهر الحياة وحقيقتها.

⁶³ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2335/ISSN: 2600-6634 EISSN: 1586 ص 10-25.

⁶⁴ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2335/ISSN: 2600-6634 EISSN: 1586 ص 10-25.

⁶⁵ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2335/ISSN: 2600-6634 EISSN: 1586 ص 10-25.

وبما أن الشاعر يمتح من الباطن، كانت لغته «مباينة للغة الناس كافة، هي لغة الخصوص لا لغة العموم، لغة المجاز والرمز لا لغة التصريح والوضوح»⁶⁶، وبهذا النوع من اللغة تتحقق قيمة الشعر الفنية بوصفه ممارسة حية للغة، لا تمثيلاً عارياً للأفكار.

هذه الحقيقة التي يؤمن بها الشاعر الحدائي نقرأها في أحد مقاطع ديوان "تحب العشق يا ليلي"، وفيه يقول عبد الله حمادي:

الشعر وثب على سرج الأقمار
وطول شوق إلى استنطاق أفكار
فغمرة السكر فيه سفرة ركبت
بسبب الخلود، بدمع الجوع والغار
وقبله السلم ذوق هام شاربها
يرقرفرض على مزموور طيار.

لقد أصبح الشعر الحدائي شعراً شاقاً ومتعاً، ينتشل صاحبه من أسر الواقع ويخلق به في فضاءات ساحرة ومدهشة، جديدة غير متوقعة، رغبة منه في بلوغ الحقيقة والاتحاد مع المطلق، كما غدت اللغة في هذا الشعر كأنها لغة أكيدة حاسمة حاضنة لكل شيء، وبواسطتها، عن طريق أشكالها الداخلية، يبصر الشاعر، يفهم ويتأمل⁶⁷، ذاته في علاقتها مع العالم. هذا التجاوز اللغوي أخرج القصيدة العربية من سكونها لتكسر حواجز اللغة التقليدية، وتؤسس للغة جديدة ذات فعالية شعرية، قادرة على قول ما لم تروض على قوله لغة الشعر التقليدي.

⁶⁶ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-، 1586ص 10-25.

⁶⁷ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-، 1586ص 10-25.

وجد الشعر الحدائي الهادف إلى تجاوز جاهزية الدال والمدلول وكسر نمطية المؤلف، في الخطاب الصوفي ضالته، لتنشأ بينهما علاقة وطيدة مكنت لأحدهما الاستفادة من الآخر، لأن «الشعراء الصوفيين هم أول من مارس إعادة التفسير اللغوي في الشعر قديما عن طريق نزع الدلالات الأولى الحسية والذنيوية لكلمات تتصل بمجالات الجنس والخمر وحالات النفس لإدراجها في أنساق رمزية جديدة»⁶⁸، لذلك حين اتجه شعراؤنا المعاصرون إلى إنجاز مشروعهم الحدائي لم يجدوا بدا من الاستفادة من التجربة الصوفية، فعب كثير منهم من هذا المعين الصافي، ونهل من هذا المورد الفياض، من أمثال صلاح عبد الصبور، وعبد الوهاب البياتي، وعلي أحمد أدونيس، ومحمد الفيتوري، ومحمد عفيفي مطر، وغيرهم ممن آمن بجدوى الخطاب الصوفي في الارتقاء بالتجربة الشعرية الحدائية، لذلك أن الصوفية «حين تتخلى عن وجهها السلبي لكي تنغمس في الواقع الذي ترفضه وتبتعد عنه، فإنها تصبح بذلك فنا تصبح شعرا. إنها تجعل من كشوفها وسيلة لتغيير الواقع، وهي تغير هذا الواقع بالكلمة الشاعرة».⁶⁹

ولقد أقر صلاح عبد الصبور وهو واحد من الشعراء المعاصرين الذين استعانوا بالتراث الصوفي في إبداعهم الشعري بأن «في التجربة الشعرية شبيها كبيرا مع التجربة الصوفية، وأن أهل الفن كأهل الطريق... فإن هذه الرؤية تتصرف إلى الشكل الخارجي وصراع الذات مع نفسها من أجل الوصول إلى عمق التجربة»⁷⁰ الشعرية التي يركز عليها الشعر المعاصر كملح فني يؤسسلحدثاته.

68- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

69- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

70- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

المطلب الثاني: تجليات اللغة الصوفية في الشعر الجزائري المعاصر:

لم يخرج الشعراء الجزائريون عن خط الشعر العربي المعاصر في سعيه لتشكيل لغته الحدائثة فالتفت كثير منهم إلى الخطاب الصوفي، مستفيدا من دواله ومدلولاته المختلفة في إثراء تجربته الشعرية، والارتقاء بنصه الشعري إلى مراتب الشعرية لإيمانه بأن «اللغة الصوفية لغة شعرية رمزية، ورمزيتها تكمن في أن كل لفظة تكسب محمولات جديدة لمجرد توظيفها في التجربة الصوفية، وهي بذلك تخلق عالمها الخاص»⁷¹، وذلك ما يضاعف من فاعلية نصه الشعري ويبحر به في عالم الحدائثة الشعرية. نذكر من هؤلاء الشعراء : عبد الله حمادي وعثمان لوصيف وياسين بن عبيد، ومصطفى الغماري وعز الدين ميهوبي وعبد الله العشي. هذا اللفيف من الشعراء تجلت النزعة الصوفية في أشعارهم بنسب متفاوتة، حيث نجدها حاضرة لدى بعضهم في جميع دواوينهم عبد الله حمادي في "البرخ والسكين" و "أنطق عن الهوى" وعبد الله العشي في ديوانيه "مقام البوح" و"يطوف بالأسماء"، و "صحوة الغيم"، في حين تبرز في بعض الدواوين دون الأخرى لدى بعضهم الآخر كعثمان لوصيف وعزالدين ميهوبي، ولا تحضر عند البعض الآخر إلا في قصائد محدودة من الديوان، وذلك راجع إلى كون تجربة الكتابة الصوفية تجربة صعبة ومضنية، فكم يشقى الشاعر لترويض معنى يعذب نفسه كي يصوغه جملة شعرية تتناسب قصيدته، وذلك ما أشار إليه عبد الله العشي بالقول:

أتعني اللغة

كيف أصطاد لؤلؤها

وأطارد شاردها

كيف أجمعهم ناقصيه ...

71- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-

من ضمن هؤلاء الشعراء الجزائريين الحدائين توجه عثمان لوصيف إلى استثمار الخطاب الصوفي لإغناء تجربته الشعرية وتغليفها برموز هذا الخطاب باعتبار الرمز من أهم الأدوات الشعرية التي تجاوزت بها القصيدة المعاصرة نمطية التقليد. وبهذا الاعتماد يكون عثمان لوصيف «قد تجاوز اللغة العادية للبوح بمواجهته إلى لغة الرمز والإشارة التي تتلج صدره وتبلغه مرماه نظرا لشساعة دلالاتها ومرونة انزياحاتها التي تبقى في حاجة دائمة إلى التأويل»⁷². وتجلي هذا التوجه في بروز معجم لغوي خاص به، له مصطلحاته وألفاظه التي تميزه، فظهرت من خلاله تجربته الشعرية الحدائية في لغة صوفية ذات أبعاد إشارية تجاه ما توحى به، وتومئ إليه، إذ «لم تعد اللفظة أو الكلمة (فيها) لها نفس الدلالة التي نعرفها، بل تصطبغ دلالات أخرى خلف الألفاظ مما يكاد يكون تفريفا لمعنى الكلمة وصب معنى آخر بها، حيث تزدوج الدلالة بما يتجاوز الحد الوضعيها».

المطلب الرابع: الموضوعات الصوفية في شعر عثمان لوصيف:

وقد أحاط هذا المعجم اللغوي المنزاح في تجربة عثمان لوصيف بالموضوعات الصوفية الكبرى، ومنها الحب الصوفي والاتحاد والمرأة وثنائية النور والظلام، وهذا تفصيل لها:

1- رمزية الحب الإلهي

لا تبتعد لغة الحب الصوفي في مفرداتها عما يتضمنه الغزل العفيف من مفردات الوجد والشوق والاحترق والسهر والترقب، لكن «الحب الصوفي يخالف ما سبق إلى الذهن عادة من هذه الكلمة، إذ تمثل الذات الإلهية الطرف الآخر في هذه

⁷² - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-

العلاقة»⁷³ وإذا لم يكن المحبوب هو الذات الإلهية، فهو المرأة التي تبرز في صور مختلفة تباين صورة المرأة العادية، لتكون معراج الارتقاء إلى عالم الأنوار والكشوفات والحب الصوفي عند عثمان لوصيف هو حب إلهي ملهم يمهده بالأشعار التي يكشف فيها عن حالته الواحدة، مستعملا من اللغة الصوفية الإشارية هذه المفردات (ملهب، براق، أظير نحوك، أجتلي، إشراقة الحياة)، علما أن اللغة «تتخذ في التجربة الصوفية منحنيًا مزدوجًا، حيث تحسد الدلالات المحسنة شكولا ذات بعد إشاري تجاه ما تومئ إليه مما يكاد يمثل تفسيرًا جديدًا»⁷⁴. مغايرًا لمألوف المعنى، ذلك أن المفردة الصوفية تتلبس بدلالات جديدة فتبدو وكأن الشاعر الصوفي قد أفرغها من معناها الأول وألبسها معنى جديدًا، وهو ما يجعل هذه المفردة في سياقها الجديد منازحة عن صورتها المعيارية بما تحمله من دلالات جديدة. نقرأ هذا المعجم اللغوي في قول الشاعر:

يا ملهب القيتار والأشعار

سخني بقا كي أظير.. أظير نحوك

اجتلي إشراقة وأصر في الحياة⁷⁵

وعلى طريقة الصوفيين تظهر قصيدة عثمان لوصيف حبلًا بالوجد الإلهي باعتبار أن «الحب الإلهي قسيم المعرفة في التصوف الإسلامي، إنه كذلك في فلسفة صوفية، فخلال ممارسة التجربة الصوفية يترقى الصوفي ويتسامى بروحه وأحاسيسه في الطريق إلى الحق، مبتغيا الوصول إلى الحضرة الإلهية، حيث يكون الفناء في الحضرة

⁷³ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁷⁴ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁷⁵ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

الإلهية هو الغاية والهدف»⁷⁶ . ومن ثم كان الحب الإلهي عند عثمان لوصيف حالة شبقية تتتابه، فتتكشف أمامه أنوار الملكوت وتتعدد الرؤى الحاملة، بحيث تبدو له الطبيعة في أبهى صورها وفي أجمل زينتها، تدعوه ليبوح بسره بين يديها. وهنا تتفتح له حروف الأبجدية منصاعة ليصوغها دررا شعرية ملؤها الحب والمناجاة للذات الإلهية. في هذا المقام الرامز للحالة الإبداعية يقول الشاعر:

ما إنها انتابت شغوري خال شبقية

فرأيت بحرا يعتلي عرش السماء

رأيت نجما يختفي بحنيه

ورأيتي سرا يسافر في جرس

هل كان من عناصري بعض الهوس؟

هي رعشة صوفية تنساب في الملكوت

فالأزمان سكرى والطبيعة تنغمس

في غرسها المائي

يا مطر القصيدة هيج الآيات والنايات

واعتق القبس.⁷⁷

وإذا أحب عثمان لوصيف المرأة، فإنه صوفي الهوى، يتخذ من حبها سيلا لحب الله، يعبده بالنظر في مقلتها، ويذوب في وجده حينما يحترق بهواها، إنها محرابه الذي من خلاله يقف بين يدي الله، فالله جميل يحب الجمال، والمرأة جميلة، و« لكل جمال جلال، ووراء كل جلال جمال، والجمال يحرك عاطفة الحب. ولذا

⁷⁶ -مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335، 1586ص 10-25.

⁷⁷ -مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335، 1586ص 10-25.

كان تحرك هذه العاطفة نحو الأعلى ونحو الإلهي أي نحو الخالق، نحو جلال الحق، في مقابل الشهوات الحسية التي هي المحرك الأساسي، والمحبة الإلهية علو على هذه الصفات البشرية»⁷⁸

هذه الحقيقة الصوفية الرامزة للطهر والنقاء، وللعلو والارتقاء يبسطها الشاعر

بين يدي هذه المرأة قائلاً:

يا طفلة الله البريئة

يا شعاعاً من ضلوع الماء ييزغ

لا تخافي! إنني من جوهر حي

ومن شجر إلهي

أحبك أو أحب الله

صوفي.. وأعبد مقلتيك

أقدس القدوس باسمك

والهوى عندي احتراق بالجميلة والجميل.⁷⁹

استطاع عثمان لوصيف في هذا النص الشعري أن يرتقي بصورة الحب الصوفي الذي تبرز من خلاله المرأة المحبوبة رمزا للنقاء والطهر والإشراق، يقف الشاعر بين يديها مولعاً بكمال صورتها البهية كما يقف بين يدي المعبود في لحظة صفاء تتأجج فيها عواطفه ويهتز وجدانه تلفاً لهذا المحبوب. هذه الصورة ارتسمت من خلال المفردات الآتية: (طفلة، بريئة، شعاعاً، الماء، جوهر، حب، صوفي، احتراق جميلة...).

⁷⁸ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2335/ISSN: 2600-6634 EISSN: 1586 ص 10-25.

⁷⁹ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2335/ISSN: 2600-6634 EISSN: 1586 ص 10-25.

2- رمزية الاتحاد

لا يكتفي الشاعر الصوفي في تعلقه بالذات الإلهية بالتعبير عن فيوض الحب ووهج الإشراق، بل يطمح إلى تحقيق ما هو أكثر من ذلك، أي الاتحاد بالمطلق والفناء في الذات العلوية. ويقصد أهل الصوفية بالاتحاد «شهود وجود الحق الواحد الذي الكل له موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كل شيء موجود به معدوم بنفسه، لا من حيث أن له وجودا خاصا به فإنه محال». هذا الاتحاد الذي غدا يعني في مذهب الشعراء المعاصرين فناء الذات في الحق وبحثها الحثيث عن الحقيقة المطلقة، تجلت مصطلحاته في شعر عثمان لوصيف، علما أن هذه «المصطلحات الصوفية المذكورة (في النصوص الشعرية) لا تعني مدلولها الصوفي فحسب، بل تشير إلى مجاهدة الشاعر بحثا عن المثال أو الحقيقة المطلقة التي ترتد إليها ظواهر الوجود»⁸⁰.

فعندما كتب عثمان لوصيف بلغة تحترف الانزياح وتخرق القواعد المألوفة، غدا تعبيره عن حقيقة الاتحاد «غيبوبة إشراق نوراني عاقل أدركها لما خلص إلى درجة التأمل المتقاني في واهب الصور ومبدع الأجسام الموجودة على الأرض»⁸¹ ومن ثم حملت لغته الصوفية دلالات عميقة، وجاءت معبرة عن رؤية خاصة تستوجب تأملا لإدراك كنهها. وهذا ليس غريبا، لأن «الشعر هو لغة الإدراك الذي لا يدرك وهذه اللغة هي ما أسست لها التجربة الصوفية العربية ومارستها على نحو فريد»⁸² في تحارب الشعراء الحدائين.

⁸⁰ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁸¹ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁸² - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

وللاتحاد عند عثمان لوصيف طاقة تعبيرية كبرى، فهو يرى أنه حين يتحد
بأنثاه يتحولان إلى ترنيمة عذبة على وقعها يتحد الكون. هذه القوة الخلاقة الناتجة
عن الاتحاد الرامز نقرأها في قوله:

وحديك تتحدين بي

فيتحد الكون كله بي

وعلى ضفاف هذ الروحاليتيمه

نتحول معا إلى ترنيمة إلهية

تسبح في مداراتها

ملايين الهزات لعاشقه.⁸³

ويرمز الاتحاد في شعر لوصيف إلى تحقيق الذات، وليس شرطه أن يكون
حلولاً في الذات الإلهية، بل الاتحاد مع الآخر والحلول في ذات الطبيعة والاتحاد بها
هو أمثل اتحاد لتحقيق الذات. ذلك أن الأنثى رمز للخصب، للعطاء والنماء والرمز «
يحقق بالضرورة استنباطاً أثناء التلقي يعادل دعوة التصوف إلى استكناه الباطن
وإغفال الظاهر»⁸⁴. والأنثى عند لوصيف ليست صورة واحدة، بل هي كل مبني من
متعدد، تجتمع في هذا الكل الأنثوي الذي يروم الاتحاد معه، مختلف عناصر
الطبيعة المكونة للحياة. يقول عثمان لوصيف مناجياً أحد عناصر هذه الأنثى التي
يروم الاتحاد معها:

يا بحر منك أنا

ومني أنت

⁸³ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁸⁴ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

فاسمح للعناصر أن تتغلغل في العناصر

كي ينال

هذا الوجود وجوده

كي تبلغ الأرواح فينا سر جوهرها الإلهي

انفتح يا بحر قد حان الوصال

واسمح بشيء من طقوسات الهوى

يا بحر معذرة فسرك لا يقال.⁸⁵

3- رمزية المرأة

حضرت صورة المرأة في الشعر الجزائري ذي النزعة الصوفية، حين وظفها الشاعر الحداثي كرمز صوفي متشعب الدلالات، متخذا منها وسيطا جماليا للوصول إلى المطلق، وذاتا أولى يعرج من خلالها إلى الذات الإلهية / العلوية، حيث تنكشف الأسرار وتتحقق الرؤى عند سدرة المنتهى. والمرأة في المنظور الصوفي تعد «تجسيدا فيزيائيا لتجل إلهي يتنوع بتنوع ظهوره في ما لا يتناهى من الصور، وكلما تلاشت من المشاهدة الخيالية صورة شخصت أخرى مقامها»⁸⁶.

احتلت المرأة رقعة واسعة في شعر عثمان لوصيف إذ لا يخلو ديوان من دواوينه الشعرية من ذكر لها على الطريقة الصوفية، ذلك أن المرأة مثلت « رمزا مهما إن لم يكن أهم رمز في الشعرالصوفي على الإطلاق، ذلك أن المرأة في الغزل الصوفي والحب الإلهي هي رمز الذات الإلهية، وقضية الحب الإلهي هي محور

⁸⁵ -مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/EISSN :2335-1586 ص10-25.

⁸⁶ -مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/EISSN :2335-1586 ص10-25.

الشعر الصوفي»⁸⁷. وقد أحب عثمان لوصيف المرأة، وهو حين يدعو هذه المرأة الرمز لتضيء مغاور قصيدته، فإنه يرسم لها صورة منتزعة من مختلف عناصر الطبيعة ليقنعك أن خصبها فياض كهذه الطبيعة، كيف لا؟ وقد خصها بكل ما في الطبيعة من عناصر الحياة، وهو يشدو بها شعرا مفعما بالحب والوله. هذه المرأة التي نجدها حاضرة بهذا العمق الدلالي في مختلف دواوينه تستمد دلالتها من الطبيعة، وهي دلالة رامزة، فأنثاه سلية البحر وبرق السماء وشجر الضياء، إنها عناصر الطبيعة التي تزيد من تعلق الشاعر بهذه الأنثى كما يتعلق بالحياة. يخاطبها قائلاً:

أحبك أنت فقط

يا سلية البحر

ويا سلية البرق

ويا شجرة الضياء الأزلية⁸⁸.

لا يقف عثمان لوصيف عند هذه الدلالة الواحدة للمرأة، بل يجتهد لكي يلبسها كل الدلالات الرمزية عبر نصوصه الشعرية، بحيث تؤدي كثرة هذه الدلالات إلى تغلثها من بين يدي القارئ، فهو لا يكاد يمسك بدلالة لها في نص شعري حتى يفاجئه الشاعر بدلالة جديدة عبر نص آخر، وما ذلك إلا لأن « رمز المرأة في الشعر الصوفي رمز مركب معقد، فهو مأخوذ عن فلسفات وأساطير وعقائد شيعية وباطنية وغنوصية ومصادر أخرى متعددة، فالمرأة صورة ورمز الجواهر أنثوي أشرب طبيعة إلهية مبدعة»⁸⁹

⁸⁷ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335، 1586ص 10-25.

⁸⁸ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335، 1586ص 10-25.

⁸⁹ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335، 1586ص 10-25.

فمن هذه الدلالات الرمزية للمرأة عند لوصيف، مناداته لها تارة بالجنية العذراء

في قوله:

أه أيتها الجنية العذراء!

هل كنت بزغت من أبخرة الخرافات

وارتجاجات الأراغن؟

هل كنت نفشت فيالج كل السلالات؟

ولماذا تشرعين

الآن

جسد الخصيب للوجع

وتغمسين أصابعك

بزنبق اللحظات؟⁹⁰

وينادي وعثمان لوصيف هذه المرأة تارة أخرى بالحوارية الشقراء والأميرة الهيفاء، وهي أوصاف تعكس جمال هذه المرأة التي أشعلت الوجد في قلب الشاعر وألهبت فيه نار الغرام، لكنها أوصاف تخترق أفق التوقع لدى القارئ متجاوزة صورتها التقليدية في مخيلته، ليقراً من خلال أسطر القصيدة كيف تتحول هذه المرأة إلى كائن غيبي. إن لغة هذا المقطع الشعري لغة صوفية موعلة في الانزياح، كاسرة نمط التعبير التقليدي، فكانت بالفعل لغة شعرية، «وإن شعرية هذه اللغة تتمثل في أن كل شيء فيها يبدو رمزاً: كل شيء فيها هو ذاته، وشيء آخر، الحبيبة مثلاً هي نفسها،

⁹⁰ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، - ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-

وهي الوردة أو الخمر أو الماء أو الله؛ إنها صور الكون وتجلياته»⁹¹ كما يراها الشاعر الصوفي.

يقول عثمان لوصيف:

أو.. يا حوريتيالشقراء

وأميرتي الخفاء

وعروستي القادمة من نفحات الفردوس.

فلغة عثمان لوصيف في هذا المقطع الشعري لغة رامزة بحيث تبدو «حبلية بالدلالات، تتمخض قراءتها عن تداخل في العلاقات، وتحول في المعاني، وكأنها مقارنة تخطو برهافة على شفا المعني، حيث يتوافق الإعتماد والنور، ويترافق الغموض والوضوح»⁹² في تناغم يلبي رغبة المتلقي المختص ويلبي رغبة القارئ العادي. أين يجد كل منهما مبتغاه في القصيدة. مثل هذا الوصف نجده أيضا في قوله:

كانت إلى جانبي

جدلي

ومذعورة

كأنما هي إحدى حوريات البحر

وقد بزغت للتو من أحشاء الماء

لتكشف عالم آخر.⁹³

⁹¹- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2335/ISSN :2600-6634 EISSN :2600-6634/ISSN :2335-، 2019، 1586 ص 10-25.

⁹²- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2335/ISSN :2600-6634 EISSN :2600-6634/ISSN :2335-، 2019، 1586 ص 10-25.

⁹³- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2335/ISSN :2600-6634 EISSN :2600-6634/ISSN :2335-، 2019، 1586 ص 10-25.

إن الألفاظ المستعملة في هذه الأسطر لا تنطلق من لغة عادية تفصح عن مضمونها بسهولة، بل هي أقرب إلى الرموز التي تصنع التوتر لدى القارئ. وقد سلك عثمان لوصيف هذه الطريقة الرمزية في التعبير عن تجربته مع المرأة لأنه يتبع درب الصوفيين، حيث « لجأ شعراء التصوف إلى طريقة الرمز لأنهم أحسوا أن لغة العموم لا تفي بالتعبير عن معاناتهم وما يحسونه في أذواقهم ومواجدهم »⁹⁴

4- رمزية التضاد:

لطالما ارتبط التضاد بالنصوص الشعرية ذات النزعة الصوفية، حتى غدا ملمحا فنيا يميز لغة هذه النصوص، فما من لغة صوفية إلا اكتنفها التضاد، فما بالك إذا كانت لغة شعرية؟ ذلك أن الموقف الشعري «بقدر ما يتجسد في لغة تحسد التضادات الجوهرية في بنية هذه التجربة، بقدر ما يبرز هذه التجربة الكامنة ويحيلها إلى متحقق شعري»⁹⁵، فالشاعر الحدائي يلتمس التضاد استراتيجياً لغوية للتعبير عن تجربته الشعرية ذات النزعة الصوفية، بحيث تتوتر الدلالات والمعاني خلال هذا الخطاب الصوفي في تقابلات ثنائية خادمة لمركزية تلك التجربة الشعرية، مولدة فاعلية ينبض بها النص الشعري.

من هذه الثنائيات الضدية ذات الدلالة الرمزية: (ثنائية الظلام والنور) و(ثنائية الحضور والغياب)، و (ثنائية الوجود والعدم)، وهي أزواج لغوية متضادة، تساق في النهاية بحسب دلالتها التعبيرية إلى غاية واحدة، هي ما يصبو الشاعر الحدائي إلى تحقيقه من خلال رحلته الإبداعية عبر مدارج قصيدته التي تشبه رحلة الصوفي التواق إلى بلوغ عالم الحقيقة المطلقة.

⁹⁴ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

⁹⁵ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN: 2600-6634/ISSN: 2335-1586 ص 10-25.

إن ثنائية (النور والظلام) توحى في دلالتها الرمزية بعمق الصراع داخل النفس البشرية التواقفة إلى التحرر والانعتاق من أثقال العالم المادي وأدراجه، والانطلاق في رحلة علوية لاكتشاف عالم الأنوار، حيث توجد الحقيقة المطلقة التي تهدف إليها هذه النفس العطشى المجنحة بالأحلام. فرمز النور المقابل للظلام، يعتبر من أبرز الدوال الرمزية عند الصوفية، إذ «لا تكاد تخرج دلالات هذا الرمز عن السر الكوني العرفاني الذي يطمح الصوفي إليه في رحيله، هو الصورة المعرفية لحالة الكشف التي يحلم بها.. هو الإشراق الروحي الفياض الذي يأمل أن يفيض قلبه إليه».⁹⁶

تحضر هذه الثنائية (الظلام والنور) في أشعار عثمان لوصيف، وذلك في أكثر من ديوان علما أنه ينشد النور في المرأة ذات الدلالة الرامزة، فنورها المنبعث من مقلتها كفيل بتحريره من كهفه المظلم، حيث يقول في ذلك:

هذا الماء سربلني أنفاسك

وسرت رعشة كهربائية الوخزات

في عروقي المتيبسه

أفقت من موتي الأليف

وأغواني الهبوب إليك

فخرجت من كهفي المظلم

أتشرب الثور

المنبعث من مقلتيك الخضراوين.⁹⁷

⁹⁶ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/EISSN :2335-1586 ص 10-25.

⁹⁷ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/EISSN :2335-1586 ص 10-25.

وتكمن براعة عثمان لوصيف اللغوية في توظيف التضاد واستثمار إمكاناته التعبيرية كاستراتيجية شعرية للكشف عن تجربته الصوفية النزعة، حين يستعمل ثنائية (الليل والنهار) للبوح بسر معاناته أمام أنثاه التي لا يفتأ يتغنى بها ليلاً وغاراً قائلاً:

أغنيك بالليل

أغنيك بالنهار

فهل تسمعين زقزقاتي

وأنفاسي الملتهبة!

آه.. أيتها الصامتة!

آه.. أيتها الفراشة اللامبالية!⁹⁸

ما نشير إليه بعد وقوفنا على هذه النصوص الشعرية ذات الملمح الصوفي، أن الشاعر الجزائري عثمان لوصيف استطاع من خلال الاطلاع على التراث الصوفي وتوظيفه، أن يرتقي بعمله الإبداعي ويثري تجربته الشعرية المعاصرة، وهو في ذلك يسير على خطى رواد الحداثة الشعرية العربية في تعاملهم مع هذا النوع من التراث بحثاً عن آليات تعبيرية جديدة تسهم في تحديث نصوصهم الشعرية. هذه الحقيقة أكدها "عثمان حشلاف" حين قال: « ولم يكن اهتمام الشعراء المحدثين بالتراث الصوفي لذاته أو لأنه شيء عظيم فحسب، بل لأنه الوسيلة الأساسية التي تمكن الشاعر من الاستمرار في الإبداع والكتابة، إذ بواسطته يتاح له نقل أحاسيسه الوجدانية وتجربته الشعرية»⁹⁹

⁹⁸ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-1586 ص 10-25.

⁹⁹ - مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019، -ISSN :2600-6634/ISSN :2335-1586 ص 10-25.

لقد استثمر عثمان لوصيف اللغة الصوفية في بناء نصه الشعري، مستفيدا من طاقاتها الإيحائية الهائلة كلغة منزاحة متجاوزة القواعد المعيارية الضابطة لعلاقة الدال بالمدلول، وهدفه من ذلك كله إثارة اهتمام القارئ وشد انتباهه إلى هذه اللغة ذات الدلالات الرامزة والإيحاءات اللامتناهية التي تسهم في تحقيق جمالية النص الشعري الحدائي، وذلك ما أثرى تجربته الشعرية. من خلال هذه اللغة أحاط لوصيف بجل الموضوعات الصوفية كالحب والاتحاد والمرأة.

وكان للتضاد اللغوي دور بارز في تكثيف الدلالة الصوفية في نص عثمان لوصيف، فبرزت في هذا المجال ثنائيات الحضور والغياب، والظلام والنور، والعدم والوجود. وهي أزواج لغوية وظفها الشاعر لإثراء تجربته الصوفية وتعميق دلالاتها الرمزية في نصته الشعري.

الختامة

- وفي خاتمة هذا البحث تم التوصل إلى نتائج أهمها:
- 1- يعتبر الرمز الصوفي وسيلة إيحائية يستخدمها الشاعر الجزائري المعاصر، من أجل التعبير عما لا يمكن الإفصاح عنه، وأضحى أهم المميزات الفنية في كتاباتهم الشعرية وادرك طاقاته الإيحائية والصعوبة المعروفة المباشرة وذلك أن حالات النفس الشاعر تكون غير واضحة، وليس أمامه سوى استخدام الرمز الصوفي للتعبير عنها.
 - 2- الرمز الصوفي يستمد سماته من الأسلوب حيث أن الفنان والشاعر لا تتوقف دلالاته على ما يقدمه هو بل عندما يتفاعل المتلقي ويستجيب معه.
 - 3- يعتبر التصوف جانب من جوانب الحياة الروحية في الإسلام وهو تجربة وسلوك قبل أن يكون مذهباً وفكراً.
 - 4- التصوف كان له دور كبير في نشأة حركة المقاومة ضد الاستعمار. وذلك ساهم في الحفاظ على وحدة المجتمع والتمسك بالدين والعقيدة.
 - 5- الرمز الصوفي لا يستخدم عند الصوفية لذاته وإنما هو إشارة مطية إلى معان أخرى مقصودة بذاتها.
 - 6- لقد استطاع المرحوم عثمان لوصيف أن يمدنا بحقيقة صوفية من خلال ديوانه الكتابة بالنار التي تضمنت رموزاً تاريخية وأسطورية وغيرها من الرموز.
 - 7- رمز النار يتكرر في تجليات مختلفة ولكن كل لفظة تؤدي في سياقها الشعري أداء خاصاً يتسم بالانسجام مع الموقف النفسي أو الفكري أو الوجداني أو الإبداعي وهذا المداد في طبيعته المحرقة يحول التجربة الشعرية إلى تجربة اشتغال دائم ومتجدد في ثناياها معالم الطريق .
 - 8- إن شاعرية الشاعر تتحقق في لحظات الاحتراق التي لها دلالات رمزية وأسطورية
 - 9- لقد اشتهر الشاعر لوصيف المادة البلاغية خصوصاً توظيف الرمز في شعره ، فقد أبرز تعدد الرموز وتنوعها ، فوظف الرموز اللغوية ، والرموز الصوفية ، والرموز الأسطورية وهو في تنوع تلك الرموز حقق ثراء أسلوبياً في بنية النص الشعري
- إن هذا البحث في خلاصته هو مساهمة موجهة إلى خدمة النص الشعري الجزائري الحديث ، هذا النص لا يزال في حاجة لمزيد من الدراسات أكثر عمقا وكثافة لمنحه هويته الإبداعية في الشعر العربي وهي الهوية والتجربة الواعية والإبداعية والناضحة والفنية .

لقد خصصنا هذا الملحق الأمم المصطلحات التي يعتمدها المتصوفة في كتاباتهم سواء النظرية منها أو الشعرية ،ومن هذه المصطلحات المشار إليها ، نجد ابن الفارض قد استخدمها في شعره، شأنه في ذلك شأن بقية الشعراء المتصوفة والذين اقتصرنا على بعضهم في هذا البحث.¹⁰⁰

1-الوجد: البروق التي تلمع في القلب.

2- التوحيد: معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بوحدانيته ونفي الأنداد عنه وهو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور ويتخيل في الأذهان.

3- الوجود: فقدان العبد لأوصاف البشرية ووجود الحق. لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحق.

4-الهو: أبطن البواطن، وهو الغيب الذي يصح شهوده للغير.

5- المشاهدة: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وهي رؤية الحق الذي هو وجه الله تعالى حسب ظاهريته في كل شيء.

6- الحال: المعنى الذي يقع في القلب من الحزن والفرح، دون تكلف، ويزول بظهور صفات النفس.

7- المقام: ما يتوصل إليه بالطلب والتصرف والتحقيق ومقام كل واحد موضع إقامته فيه.

8- الفناء: سقوط الأوصاف المذمومة، وهو فناء آن، الأول بكثرة الرياضة والثاني بعدم الإحساس بعالم الملكوت وذلك بالاستغراق في عظمة الخالق ومشاهدة الحق.¹⁰¹

¹⁰⁰- بومشارمرسلى: أطروحة الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة " ابن الفارضانموذجاً"

¹⁰¹- بشراف أحمد مسعود، لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، 2014، 2015، 1435-1436، ص 222.

- 9- البقاء: الأوصاف المحمودة به. فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استتارت عنه الصفات المحمودة. 10- ظل الإله: الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية .
- 11- الرياضة: تهذيب أخلاق النفس من الطباع والنزعات المذمومة.
- 12- الحضرات: هي حضرة الغيب المطلق، و عالمها عالم الأعيان في الحضرة العملية تقابلها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك، وحضرة الغيب المضاف وهي إما أقرب من الغيب المطلق، وعالمها عالم جبروت وملكوت الأرواح أو ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالمها عالم المثال.
- وأخيرا الحضرة الجامعة للحضرات كلها، وعالمها عالم الإنسان الكامل لجميع العوالم.
- 13- الاتحاد: شهود الوجود الحق المطلق، الذي الكل موجود في الحقيقتحدث به، من حيث كل شيء موجودا به معدوما بنفسه، الإتحاد امتزاج شيئين حتى يصيرا شيئا واحدا.
- 14- الإرادة: الإقبال على أوامر الله تعالى، والرضا... وهي جمرة نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة.
- 15- الإجابة: الرجوع من الكل إلى من له الكل، وهي رجوع من الوحشة إلى الأنس.
- 16- الاعتكاف: تسليم النفس إلى المولى، وتخليص القلب من شغلا لدنيا .¹⁰²
- 17- الإلهام: ما يبقى في الروح بطريقة الفيض.
- 18- الأوتاد: أربعة رجال، منازلهم على منازل العالم الأربعة: شمال وجنوب، شرق وغرب.

¹⁰²- بومشارمرسلى: أطروحة الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة " ابن الفارضانموذجا" ، ص

19- التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وأمهات الغيوبالتي تظهر التجليات سبعة هي: غيب الحق وغيب الخفاء وغيب الروح وغيب القلب وغيب النفس، وغيب اللطائف البدنية.

20- التخلي: اختيار الخلوة والامتناع عن كل ما يشغل عن الحق.

21-الوقفه: الوقوف بين مقامين لعدم استيفاء حقوق المقام الذي خرج منه وعدم استحقاقه المقام الأعلى.

22- اليقين: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان أو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب.

23- الهداية: سلوك الطريق الموصلة إلى المطلوب.

24- التقوى: انتقاء العبد ما سوى الله تعالى: وأن ترى في نفسك سوى الله والتقوى الاقتداء بالنبي قولاً وفعلاً.

25-التداني: معراج المقربين، وينتهي إلى قاب قوسين.

26- قاب قوسين: مقام القرب الأسمائي، وهو التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي، وهو الاتحاد بالحق، مع بقاء التمييز بالاتصال.

27- التفريد: وقوفك بالحق معك¹⁰³

التفريد: هو افراد المفرد برفع المحدث لتحقيق القدم وإفراد القدم بوجود وفحواه أدق¹⁰⁴

¹⁰³- بوامشارمرسلى: أطروحة الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة " ابن الفارض انموذجا"، ص 224.

¹⁰⁴- هادي العلوي، مدارات صوفية الثورة المشاعية في الشرق، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ط1، 1995، ص 200.

- 28- التجريد: إمطة السوى، والكون على السر والقلب إذ لا حجابوى الصور الكونية والأغيار المنطبعة في ذات القلب.
- 29- الإخلص: أن لا تطلب لعملك شاهدا غير الله.
- 30- الإحسان: التحقيق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة.
- 31- الاختيار: فعل ما يظهر به الشيء وهو من الله.
- 32- التفكير: سراج القلب، يرى به خيره وشره، منافعه ومضاره وهو مزرعة الحقيقة ومشرعة الشريعة.
- 33- التقديس: تبعيد الرب عما لا يليق بالألوهية.
- 34- التمكين: مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وينتقل فيه العبد من حال إلى حال ومن وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين.
- 35- التلوين : تنقل العبد في أحواله، وهو عند أكثر القوم ناقص، وحال العبد فيه حال. 36- التوقيف: جعل الله فعل عبادته موافقا لما يحبه ويرضاه.
- 37- الحجاب: كل ما يستر مطلوبك، وهو انطباع الصور الكونية في القلب لاحتواء تجلي الحق.
- 38- الحق: اسم من أسماء الله تعالى.
- 39- التوكل: الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس.
- 40- الاسم الأعظم: الله، الجامع لجميع الأسماء، وهو اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات.¹⁰⁵
- 41- حق اليقين: فناء العبد في الحق والبقاء فيه علما وشهودا وحالا وحق اليقين المشاهدة.

¹⁰⁵- بومشارمرسلى: أطروحة الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة " ابن الفارضانموذجا" ، ص

- 42- الدهر: هو الآن الدائم، وهو امتداد الحضرة الإلهية وهو باطن الزمان، و به يتحدد الأزلى والأبد.
- 43- الرؤية: المشاهدة بالبصر في الدنيا والآخرة.
- 44- الزهد: بغض الدنيا والإعراض عنها.
- 45- السرمدي: ما لا أول له ولا آخر.
- 46- السلام: تجرد القلب عن المحنة في الدارين.
- 47- الشاهد: ما كان حاضرا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره. فإن الغالب عليه العلم، فهو شاهد العلم وإن كان الوجد فهو شاهد الوجد وإن كان الحق فهو شاهد الحق. 48- الشطح: دعوى يفصح بها العارف من غير إذن إلهي.
- 49- السكر: غيبة القلب عن مشاهدة الخلق، ومشاهدته للحق بلا تغير ظاهر على العبد.
- 50- الصحو: فهو رجوع القلب إلى ما غاب عن عيانه لصفاء اليقين ويختلف عن الحضور بأن هذا دائم والصحو حادث.
- 51- الصدق : قول الحق في مواطن الهلاك.
- 52- العبودية: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضى بالموجود، والصبر على المفقود
- 53- طاهر السر: من لا يذهل عن الله طرفة عين.
- 54- الطوالع: أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد .
- 55- القضاء: الحكم الإلهي الكلي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزلى والأبد.
- 56- الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا.

- 57- الحضرة: إشارة إلى قوله "كن" وهي صورة الإرادة الكلية.
- 58- لسانالحق: الإنسان الكامل المتحقق بمظهر الاسم المتكلم.
- 59-المحاضرة: حضور القلب مع الحق في الاستفادة من أسمائه تعالى .
- 60- الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس.
- 61- النون: العلم الإجمالي، وصور العلم التي هي صور الحروف، موجودة في مدادها إجمالاً، والعلم الإجمالي في قوله تعالى : "نون والقلم...".
- 62- المكاشفة: حضور لا ينعت بالبيان.
- 63-نورالنور : هو الحق تعالى .
- 64- يومالجمع: وقت اللقاء والوصول.
- 65- الرسم: نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل.
- 66- الرضا: سرور القلب بمر القضاء.
- 67- ذوالعقل: الذي يرى الخلق ظاهراً و يرى الحق باطناً، فيكون الحق مرآة الخلق.
- 68- خاطر: ما يرد على القلب من الخطاب الوارد الذي عمل لا عمل للعبد فيه، و هو إما رباني أو ملكي أو مفروض أو نفساني.
- 69-الحد: الفصل بينك و بين مولاك، كتعبك و انحصارك في الزمان والمكان المحدودين .
- 70 -التوبة: الرجوع إلى الله في القيام بكل حقوقه.
- 71- الجلوة: خروج العبد من الخلوة .
- 72-أحد: اسم الذات مع تعدد الأسماء و الصفات و الغيب.
- 73-الأزل: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في الماضي.
- 74- الأبد: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في المستقبل.
- 75- الأزلي: الذي لم يكن ليس، والذي لم يكن ليس لا علة له فيالوجود.

- 76- الحكمة المسكوت: أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء الرسوم و العوام على ما ينبغي، فيضرهم أو يهلكهم.
- 77- السالك: هو الذي مشى على المقامات بحاله، لا بعلمه.
- 78- السكينة: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، و هو نور في القلب، من مبادئ عين اليقين.
- 79- الشهود: رؤية الحق بالحق.
- 80- الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق و أحوال نفسه، بما يريد عليه من الحق إذا عظم الوارد و استولى عليه سلطان الحقيقة، و هو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق.
- 81- الفراسة: هي مكاشفة اليقين ومعينة الغيب.
- 82- المجذوب: من اصطفاه الحق لنفسه، و اصطفاه بحضرة أنسه و أطلعه بجانب قدسة. ففاز بجميع المقامات و المراتب.
- 83- المراد: هو المجذوب عن إرادته، وهو أن يبتلى بالمشاق و الشدائد في أحواله فإن ابتلى، فيكون بذلك محبا لا غير.
- 84- المراقبة: دوام على العبد باطلا ع الرب عليه في جميع أحواله .
- 85- مشيئة الله: تجلي الذات لإيجاد المعدوم، أو إعدام الموجود و إرادته هي تجلية لإيجاد المعدوم.
- 86- وجه الحق: هو ما به الشيء حقا، إذ لا حقيقة للشيء إلا به تعالى.
- 87- الأفق المبين: نهاية مقام القلب.
- 88- البرزخ: الحائل بين شيئين، وهو الحاجز بين الأجسام الكثيفة و عالم الأرواح المجردة، أي الدنيا و الآخرة.

- 89- البرق: أول ما يبدو للعبد من اللوائح النورية، و تدعوهُ إلى الدخول في حضرة القرب من الرب، للسير في الله .
- 90- التطوع: الشروع في زيادة الفروض و الواجبات.
- 91- التواجد: استدعاء الوجد تكلفاً، وليس لصاحبه كمال الوجد.
- 92- جمع الجمع: مقام أتم و أعلى من الجمع، فالجمع شهود الأشياء باللهو التبدي من الحلول و القوة إلا بالله، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية، والفناء عما سوى الله.
- 93- الحمد الحالي : الذي يكون حسب الروح والقلب، كالاتصافبالكمال العلمي والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية .
- 94 الرداء: ظهور صفات الحق على العبد.
- 95- السر: لطيفة، مودعة في القلب، كالروح في البدن وهو محل مشاهدة كما أن الروح محل محبة، والقلب محل المعرفة.
- 96- السفر: هو سير القلب عند أخذه في التوجه إلى الحق بالذکر والأسفار الأربعة هي: رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة، ورفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنة، وزوال التقيد بالضدين الظاهر و الباطن و اضمحلال الحلق في الحق حتى يرى عين الوحدة في صورة الكثرة، و صورة الكثرة في عين الوحدة. وهو مقام البقاء بعد الفناء، و الفرق بعد الجمع.
- 97- ظاهر الممكنات: تجلي الحق بصور أعيانها و صفاتها، وهو المسمى بالوجود الإلهي، وقد يطلق عليه ظاهر المذهب و ظاهر الرواية و ظاهر الوجود.
- 98- الفتوة: هي أن تؤثر الخلق على نفسك في الدنيا و الآخرة.
- 99- الكرامة: ظهور أمر خارق العادة، من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة.
- 100- المرید: من انقطع إلى الله عن نظر و استبصار و تجرد عن إرادته، إذاعلم

أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريد الله تعالى، لا ما يريد غيره فيمحو إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق.

101- المحق: فناء وجود العبد في ذات الحق تعالى.

102- المقضي: الذي يطلب عين العبد باستعداده من الحضرة الإلهية.

103- الموت: قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه، فقد حيي بهداه.

104- الموت الأسود: احتمال أذى الخلق، وهو الفناء في الله لشهود الأذى منه، حيي برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه.

105- الوارد: كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية، من غير تعمد من العبد.

106- الولاية: قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، و الولاية في الشرع تنفيذ القول على الغير، شاء الغير أم أبى.

107- الشوق: و هو نزاع القلب إلى لقاء المحبوب.

108- الذوق: هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتتالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي ، فإذا زاد و بلغ أوسط مقام الشهود، سمي مشرب.

قائمة المصادر

والمراجع

- 1- ابن عجيبة، المباحث الأصلية ابن البنا السرقسطي ضمن الفتوحات الإلهية، د/ت، د/ط.
- 2- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان، د/ط، د/ت، ج2.
- 3- أبي الرحمان السلمي، طبقات الصوفية، مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1380هـ.
- 4- أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، د/ط، د/ت.
- 5- إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد، طبعة شرعية، 1941-1987.
- 6- أحمد أبو كف، أعلام التصوف الإسلامي، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، ط2، القاهرة، مصر، 2002.
- 7- أحمد شمس الدين، التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 1993.
- 8- البخاري، رواه البخاري عن أبي هريرة وأحمد بن عائشة والصبغاني عن أبي أمامة، دار الشعب.
- 9- العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا العدد 10 أبريل 1988.
- 10- بشراف أحمد مسعود، لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران كلية الأدب والفنون، 2014-2015.

- 11- بوامشار مرسلي، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة ابن الفارض "أنموذجا، أطروحة مقدمة درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، 2005.
- 12- دجين العملي عبد الله، الصوفية منشأها وعقائدها وآثارها، كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.
- 13- صلاح مؤيد العقبي، طرق الصوفية والروايا في الجزائر وتاريخها، دار البراق، 2002-1-1
- 14- عاطف جودت نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، ط1، بيروت -لبنان، 1978.
- 14- عبد الحكيم الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، د/ط، دج/ت، 1999.
- 15- عبد الله رزوقي، الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي، تخصص أدب عربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017.
- 16- عثمان لوصيف، ديوان الكتابة بالنار، دار البعث قسنطينة والجزائر، ط1، 1982.
- 17- عجال كمال، حدس وإرهاص، بائنة للمعلوماتية، الجزائر، ط1، 2003.
- 18- عيسى عبد القادر، حقائق التصوف، دار القاهرة، مصر، ط1، 1961.
- 19- مجلة اشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08 عدد 05، السنة 2019.
- 20- محمد مرتاض، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية(د/ط)، 2009.

- 21- مختار بونقاب، الطريقة الدرقاوية الجزائرية، الصفوة والأثر، مجلة الحوار المتوسطي العدد 11-12، جامعة معسكر، 2017.
- 22- هادي العلوي، مدارات صوفية تراث الثورة المشاعية في الشرق، الناشر مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ط1، 1998.
- 23- هدى فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي محها الدين بن عربي أنموذجا، رسالة شهادة الماجستير في الأدب الحديث، محمد مرتاض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006.

الفهرس

| | |
|------|--|
| أ- ب | مقدمة |
| | الفصل الأول: التصوف، الدلالة والتاريخ |
| 4 | أولاً: أصل الكلمة..... |
| 5 | ماهية التصوف..... |
| 5 | 1- مفهوم التصوف |
| 5 | أ- لغة..... |
| 7 | ب- اصطلاحاً..... |
| 9 | 2- نشأة التصوف..... |
| 12 | ثانياً: ظهور التصوف وتطوره..... |
| 12 | 1- مراحل تطور التصوف..... |
| 13 | 2- أقسام التصوف..... |
| 15 | 3- خصائصه..... |
| 20 | 4- أعلام الشعر الصوفي..... |
| 27 | 3- انتشارها وأهم فروعها والمبادئ القائمة عليها |
| 33 | ثالثاً: روافد التصوف..... |
| 33 | 1- المذاهب الصوفية..... |

| | |
|----|---|
| 42 | 2- مدارس وطرق الصوفية..... |
| | الفصل الثاني: التجربة الصوفية في شعر عثمان لوصيف |
| 56 | أولاً: الشعر المعاصر واللغة الصوفية..... |
| 59 | ثانياً: تجليات اللغة الصوفية في الشعر الجزائري المعاصر |
| 61 | ثالثاً: تجليات الموضوعات الصوفية في شعر عثمان لوصيف مع بعض النماذج. |
| 75 | الخاتمة |
| 77 | الملاحق |
| 86 | قائمة المصادر والمراجع |

ملخص

التصوف هو علم السلوك وهو السير في طريق تربية النفس والارتقاء في درجات معرفة الخالق والاهتمام بالتصوف ليس حديث الساعة بل تناوله المؤرخون والعلماء من أمثال: القشيري والغزالي وابن خلدون. كما أولاه المستشرقون بالاهتمام أمثال الفرنسي لويس ماسينون. وكذلك نجد العديد من الشعراء الجزائريين المعاصرين مثل عثمان لوصيف فقد كتب العديد من الأشعار والدواوين باللغة الصوفية واستخدام الرمز الصوفي فالتصوف هو مذهب ديني سلوكي تعددت منابعه واتجاهاته ومنه التصوف القادري الذي ينتمي إليه الأمير عبد القادر الشاعر والمجاهد والمفكر وحيث ظهر تصوفه في سلوكه وشعره وزهده، لذ كان لنا استقطاب تصوفه الشعري ذو المنبع السني القريب من الزهد.

الكلمات المفتاحية : - التصوف , علم السلوك ، الأشعار ، اللغة الصوفية، الرمز الصوفي ، التصوف القادري

Resume

Le soufisme est la science du comportement. C'est la manière d'élever l'âme et d'élever les niveaux de connaissance du Créateur. Et l'intérêt pour le soufisme n'est pas un sujet d'actualité, mais a été abordé par des historiens et des universitaires. Exemples: Al-kouchairi, Al-Ghazali et Ibn Khaldoun. Les orientalistes ont également fait attention à lui, comme le Français Louis Massignon.

De même, on trouve de nombreux poètes algériens contemporains, comme Othman Lousif. Il a écrit de nombreux poèmes et recueils en langue soufie Et utilise le symbole mystique. Le soufisme est une doctrine religieuse et comportementale qui a de nombreuses sources et tendances. Y compris le soufisme Kadri, auquel appartient Amir Abdel kader. Poète, moudjahid et penseur. Et où son mysticisme est apparu dans son comportement, la poésie et l'ascétisme. Nous avons donc eu la polarisation de son mysticisme poétique avec une source sunnite proche de l'ascétisme.

Les mots clés : Le soufisme– la science du comportement- poèmes- langue soufie- le symbole mystique- le soufisme Kadri